دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلثَّانِي وَالعُشرُونَ)

سُورَةُ المَائِدَةِ

مِنَ الآيَةِ ﴿٢٧﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿٥٧﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين ٱلحُوثِي

بِتَارِيخ: ٢٢ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ١٦/١١/٢٠٠٣ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في أول (سورة البقرة) قرأنا قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:٢) الفقرة الأولى من هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إشارة إلى عظمة هذا الكتاب، وبُعده الشاسع عن أن يكون محطاً للارتياب ﴿لاَ رَيبَ فِيهِ﴾ ليس فيه ريب على الإطلاق في كل ما تناوله، أيَّ ريب كان، لا مكان له في القرآن، ولا مَنفذ له إلى القرآن على الإطلاق. وفعلاً عندما يتأمل الإنسان أثناء التلاوة، عندما يتأمل آيات القرآن الكريم سيجد فعلاً بأنه بعيد كل البُعد عن أن يكون فيه مَنفذ لريبٍ أيَّ ريب كان، أي: القرآن يشهد فعلاً؛ ولهذا كان أعظم معجزة لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يشهد بنفسه أنه من عند الله: بأسلوبه، بمواضيعه الشاملة، بهداه المتميز. أنت تلمس فعلاً بأن من يشرِّع في هذا القرآن من يهدي في هذا القرآن هو بالتأكيد مَن خلَق الإنسان، قضية لا شك فيها، أنه مَن خلَق السموات والأرض، أنه من يعلم الغيب والشهادة، وهو الله سبحانه وتعالى لا شك في ذلك.

عندما يتأمل الإنسان سواءً بالنسبة للآيات التي تتناول قضايا مُعيَّنة مثل تشريع القصاص، أو الحدود، أو غير ذلك من العبادات والمعاملات، وفيما يتعلق بالتوجيهات، أو فيما يتعلق بتشخيص الإنسان كإنسان، وتشخيص الإنسان المؤمن المتقي، وتشخيص أهل الكتاب، وتشخيص المنافقين، والكافرين، وهكذا عندما تلتفت إلى واقع الحياة تجد أن القضية كما شخصها فعلاً، وفي كل العصور، في هذا الزمن الذي بيننا وبين نزول القرآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة تجده يُشخّص على أرقى مستوى وأدق تشخيص لهذا الواقع الذي نحن فيه، يُشخّص أهل الكتاب: بني إسرائيل - هؤلاء اليهود والنصارى - ويشخص المنافقين، ويشخص الوضعية بشكل وكأنه نزل في هذه المرحلة فعلاً. لا يمكن لأحد على الإطلاق أن يكتب على هذا النحو، يتجاوز الزمن كتابته، بل رأينا الزمن تجاوز تفسيرات المفسرين أنفسهم، المفسرون للقرآن نفسه تجاوزهم الزمن، وتجاوزهم القرآن، تجاوز هو والزمن تفسيراتهم له هو، فما بالك أن تكون كتابة يصيغها أحد من الناس؛ لهذا يُعتبَر نعمة كبيرة جداً علينا، ونعمة كبيرة على الناس جميعاً، على البشرية كلها.

في هذه الآيات قرأنا قصة ربما قد تكون قُدِّمت في كتب بني إسرائيل بشكل مختلف؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ ابْنَي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾(المائدة:٢٧) القصة الحقيقية والواقعية لتلك القضية التي حدثت بين ابني آدم ويبدو فعلاً أنهما ابنا آدم المباشران وليس فقط قضية نُسبة، بل أبناؤه فعلاً.

أن تأتي الآية بهذا الشكل: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ﴾ لأنه عندما يتلو عليهم ما هو الحق، وفي كثير من القضايا التاريخية تستطيع عندما تُقدَّم لك قصة مشوهة، ويُقدَّم لك الجانب الحقيقي فيها، تستطيع أن تتلمس فعلاً إذا كان لديك رؤية تاريخية، ومعرفة بطبيعة الأحداث في العادة، وبطبيعة البشر، فتكون هذه آية لبني إسرائيل تشدهم إلى الإيمان بهذا القرآن الكريم، والاهتداء بهديه. ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ﴾ عليهم، هذه القضية لها علاقة بهم أيضاً من جهة أخرى سيأتي فيما بعد.

﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ ابْنَي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ كان في الأزمنة الماضية يأتي قربان بشكل ذبائح وأشياء أخرى، فالإنسان الذي يُتَقبل منه القربان قد تنزل نار تحرقه، أو أيُّ شيء من هذا، المهم علامة بارزة تحصل، تُبيِّن أنك أنت تُقبل قربانك من الله، قرباناً لله. ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ لأقتلنك غضب لماذا لم يُتَقبل منه قربانه. القضية ليست من عندي أنا، المسألة تعرفها ونعرفها جميعاً ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(المائدة:٢٧) عندما تُقدِّم قربانك فلا يُتقبَّل منك فراجع نفسك أنت، وحاسب نفسك، وعُد إلى الله؛ لتكون من المتقين، فيُتقبَّل قربانك، وليس أن ترجع عليَّ أنا.

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيكَ لِأَقْتُلَكَ﴾(المائدة:٢٨) ممكن أن يبسط يده بشكل دفاع لكن لن أبسط إليك يدي لأقتلك ﴿إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فهذه النوعية بعيدة عن ارتكاب مثل هذه الجريمة. ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾(المائدة:٢٩) تنتهي القضية وتعود أنت خاسراً ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ إثمك الذي قد وجدتَ أنت ورأيتَ أن الله لم يتقبَّل منك، وإثم قتلي ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾(المائدة:٢٩).

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾(المائدة:٣٠) سهَّلت له، ربما تَلفّت فرأى أن من السهل أن يقتله؛ لأنه اغتاظ منه أن

يُتقبَّل قربانه وهو لم يُتقبَّل منه! مع أن المسألة هنا ليست بيد أخيه، أي: ليس لديه حق له على الإطلاق، حتى لو قال ماذا يمكن أن أعمل لك؟ هل يمكن أن يعمل له شيئاً؟ لا يمكن أن يعمل له شيئاً ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾(المائدة:٣١) ربما لم يكن قد مات أحد منهم من قبل، أو ربما كان هذان الأخوان مثلاً مع آخرين منهم في بلد آخر لم يكن قد مات منهم أحد، وإن كان قد مات ممن انفصلوا عنهم، والله أعلم، هذه تدل على أنه فعلاً لم يكن قد عرف هذه السُّنة الإلهية بدفن الموتى من بني آدم، لكن تكريماً للإنسان بشكل عام، وتكريماً لأخيه هذا ﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ ولا يستحق إلاّ غراباً، الغراب هو عند العرب، وعند الناس طائر مشؤوم كانوا يتشاءمون به، ويذكرونه في الشعر العربي كطائر يتشاءمون به هو والبومة. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾(المائدة:٣١) هذه أول خسارته: أصبح من النادمين.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(المائدة:٣٢) إذاً نحن أمام درس فيما يتعلق بعقوبة الإعدام، عقوبة الإعدام فعلاً في هذا العصر بالذات، ولذلك كانت قضية منذ زمن هناك حملة فعلاً حملة شبه دولية حول محاولة إلغاء عقوبة الإعدام، تلغى تماماً باعتبارها وكأنها عقوبة بشعة! وعادة يحاولون أن يزينوا هذه المسألة (مسألة إلغاء عقوبة الإعدام) إذا كنا قد فقدنا واحداً فلماذا أيضاً نفقد الآخر؟ فإذا كنا قد فقدنا واحداً (مع السلامة) فلا نفقد الآخر أيضاً! لا، الله سبحانه وتعالى هو حكيم، ويُبيِّن للناس أنه حكيم، ويُبيِّن أن هناك حاجة ماسَّة، حفاظاً على حياة الناس، إذا كانت عقوبة الإعدام عندما تحاول أن تلغيها من أجل الحفاظ على حياة واحد، فالله قدَّم الحل الذي يمثل الحفاظ على الحياة بأوسع مما قدَّمت، حياة الاثنين، إذا كنتَ تريد حياة واحد من خلال إلغائك للعقوبة، فالله قدَّم – من خلال هذه العقوبة – ما يضمن حياة اثنين.

ثم إذا كان مثلاً قد تقول: بأن إلغاء هذه العقوبة هو وجيه؛ لأن حالات القتل فعلاً قد تكون إنما هي عادة تحصل عند الغضب، أو الاختلاف، أو أشياء من هذه، فيحصل من فلان أن يقتُل فلاناً، هنا بيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه القصة، وبيَّن من خلال أجواء هذه القصة أن هناك نوعية من الناس سيقتُل بدون أيِّ مبرر على الإطلاق، لاحظ هنا يذكر أخاه الآخر كيف كان عند ما قال له: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ والذي دفعه إلى القتل لم يكن من جهة أخيه أيُّ شيء يدفعه إلى أن يقتله على الإطلاق، هناك قضية أخرى: قدَّم قرباناً فلم يُتقبَّل منه؛ فعاد ليقتل إنساناً لا علاقة له بالموضوع على الإطلاق، ولم يأتِ من جانبه أيُّ شيء يُعتبَر دافعاً له إلى أن يقتله، أي: أن هناك – فعلاً – نوعية من الناس هم على هذا النحو.

الله فيما يتعلق بأن تحسب حساب حالات أخرى جعل في هذه القضية عقوبة إعدام (قصاص) أو دية إذا قَبِل الأولياء، وأحياناً في بعض القضايا يمكن فعلاً أن يعرف الأولياء ويقبلوا دية في بعض الأحداث التي قد تكون فعلاً شبه "بالي"[1] أخي مثلًا أو صاحبي فعلًا بَلا آخرَ بنفسه فلم يكن أمامه بدٌّ من أن يقتله مثلًا، أليس هذا قد يسمى (بالي) مُعيَّناً؟ هنا يوجد مجال فيما يتعلق بالعفو أو الدية.

إذاً فأمام هذه العقوبة جعل ما يضمن الحياة للناس فعلاً، ولتعرف أن هذه العقوبة عادة على أساس أن الكثير فعلاً من هذه النوعية، هي نوعية مما يخشاها البشر، فيجب أن يكون هناك عقوبة؛ لتندفع وترتدع هذه النوعية من الناس، أمَّا النوع الآخر وهم مَن؟ المتقون فهم لا يمثلون خطورة على الآخرين على الإطلاق؛ لأنه هنا قال: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ بمعنى: أن هذه النوعية من الناس الطيبين الناس المتقين لا يشكّلون خطورة على البشر على الإطلاق. إذاً فأنت عندما تدافع عن تنفيذ عقوبة الإعدام، تعمل على إلغائها بشكل قانون، كما يعملون في هذا الزمن، فمعناه أنك تفسح المجال أمام مَن؟ أمام مجرمين، أنت تُفسح المجال أمام مجرمين، ليس معنى ذلك أنك ستزيل إشكالية أمام أناس صالحين وأبرار وطيبين، لا.

هناك جانب آخر (الدية) وهي قضية تعود إلى نفسية أولياء المقتول، وأجواء القضية، وفعلاً قد يكون كثير من القضايا مثلما هو معروف، بعض القضايا قد يرى الأولياء بأنه مناسب فعلاً أن يعفوا نهائياً، بعضهم يعفون نهائياً، ولا حتى دية، وبعضهم قد يقبل دية، وبعضهم قد يقبل شيئاً مُعيَّناً مقابل تكاليف الحادثة.

هذا أول شيء: أن هناك حاجة ماسَّة إلى إقامة هذا الحكم الإلهي، وهو القصاص؛ لأن هناك – فعلاً – نوعية

(١) البَالِي: من اللهجة العامية، ويعني: الموقف الذي لا يتعمد الإنسان القيام به، وإنما فرضته ظروف مُعيَّنة.

من البشر على هذا النحو، أن يقال لبني إسرائيل أنفسهم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾(المائدة:٣٢) سترى أن بني إسرائيل هم أنفسهم يحملون نفسية هذا الشخص الذي قتل أخاه دون مبرر، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، أليس هذا شيئاً واضحاً؟ بغير حق. إذاً فعندما تراهم أنت الآن يعملون حملات كثيرة من أجل إلغاء عقوبة الإعدام إنما من أجل أن يفسحوا لأنفسهم أن يُجرموا ويرتكبوا هذه الجريمة، كما رأينا الأمريكيين حاولوا بشكل كبير على ألاّ يُحاكَم جنودُهم في محكمة الجزاء الدولية، فعلاً لا يشملهم أحكام نهائياً؛ باعتبارهم وكأنهم أناس صالحون، وأناس أبرار، وإنما محررون ويضربون الطغاة، وأشياء من هذه! لا، إذا لم تكن هذه العقوبة قائمة فإنما يفسح المجال للمجرمين فعلاً، ومَن هم - فعلاً - من هذه النوعية؟ هم الكثير من بني إسرائيل، لأنك تجد هذه القضية - فعلاً - برزت فيهم بشكل كامل (القتل بدون حق) وقتل مَن؟ قتل مجرمين أو قتل مَن؟ قتل أنبياء!

وفي نفس الوقت فساد في الأرض، ألم يحكِ عنهم هذه؟ ﴿وَيَسْعَونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾(المائدة:٦٤) هذه القضية معروفة عنهم والبشر الآن يصيحون من فسادهم، أليس رئيس الوزراء الماليزي في مؤتمر القمة الإسلامية تحدث عن فساد اليهود، وضج منهم؟ وحصل تأييد كثير؛ لأن الناس يعرفون هذه الآن في العالم تقريباً أصبحت القضية واضحة، خاصة من بعد الأحداث الأخيرة التي يسمونها: أحداث الحادي عشر مِن سبتمبر.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ القضية قد تكون على هذا النحو ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ وهناك قدَّم عقوبة ارتكاب هذه الجريمة بالنسبة لبني إسرائيل بالذات لتمثل رادعاً لهم، أن يجعلها كبيرة جداً جداً بهذا الشكل الذي ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأنهم بحاجة إلى أن تُغلَّظ أمامهم هذه الجريمة؛ لأنهم أناس يقتلون بغير حق، يقتلون الأنبياء بغير حق، وسيقتلون من أصحابهم داخل كنائس أو معابد بغير حق؛ من أجل مصلحة سياسية من أجل أن يقوم عليها دعاية معيَّنة لهم تخدمهم سياسياً. إذاً فعلاً هذه النوعية هم بحاجة إلى أن تُغلَّظ الجريمة أمامهم بشكل كبير جداً جداً أكثر ربما من أيِّ نوع آخر من الناس، أيِّ فئة من الناس الآخرين.

﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(المائدة:٣٢) ليدفعهم أيضاً إلى الحفاظ على حياة الآخرين، وأرواح الآخرين، أن يُقدَّم لهم هذا الفضل العظيم، لماذا؟ ليبعدهم مهما أمكن، ومع هذا ترى بأنه لم يُجْدِ معهم. إذاً فعندما ينادون هم بإلغاء عقوبة الإعدام نقول: لا، هي ضرورية لكم أنتم بالذات؛ لأنكم أنتم الذين تشكّلون خطورة على البشر، لا تُعتبَر انتهاكاً لحقوق الإنسان. لا. إنما تُعتبَر رادعاً وزاجراً لمن يتجه لسفك دماء بني الإنسان.

سبق في خطاب للمسلمين كتشريع مباشر لهذه الأمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٧٩) لأنه يبدو فعلاً أن بني إسرائيل فظيعون جداً بالنسبة لنفسياتهم (جُرْأتهم) فيما لو تمكنوا؛ ولهذا كما نقول أكثر من مرة: من خلال ما نفهم من كتاب الله نلاحِظ كم حصل من تخفيف في واقعهم: ذلة، ومسكنة، وغضب إلهي، وعداوة وبغضاء فيما بينهم، وتهويل للجريمة على هذا النحو عندما يقول: كتبنا عليهم على هذا النحو، ومع هذا لا يزال البشر يصيحون منهم الآن! كيف لو أنهم ما زالوا في أجواء طبيعية، لا يوجد لا ذلة ولا مسكنة ولا عداوة ولا بغضاء ولا، ولا...؟! كيف سيكونون؟! رهيبين، لديهم جُرْأة، لديهم استخفاف، ويبدو فعلاً أنها قضية ترسَّخت لديهم بشكل ثقافة: النظرة إلى الآخرين من بني البشر إلى درجة أنه كما يُعرَف عنهم ويقال عنهم: إنهم لا يَعتبِرون الباقي من الناس أناساً بما تعنيه الكلمة، إنما هم حيوانات أخرى، مخلوق آخر؛ ولهذا يحاولون وعن طريق أبحاث معيَّنة أن يُثبتوا أن أصل هذا الإنسان قرد، أو شيء من هذا، يعتبرونه مخلوقاً ثانياً، خُلِق فقط لخدمتهم، وإنما خُلِق على شكلهم لينسجم معهم في خدمتهم!

إذاً هم لا يقيمون لهذا الإنسان أيَّ وزن على الإطلاق، لا يقيمون له أيَّ وزن حتى منهم، لاحِظ جُرْأتهم حتى على مستوى أنبياء منهم؛ لذلك عندما نسمع أحداثاً كهذه، مثلما حصل في (تركيا) لا تستبعد على الإطلاق، البعض من الناس استبعدوا وقالوا: (كيف يمكن أن يَقتُل الأمريكيون أصحابهم في حادث (نيويورك) أو يقتلون مثلما حصل في معبد اليهود في تركيا؟!) هؤلاء أناس كأنهم لا يقرؤون القرآن، أليس الله يذكر عنهم في أكثر من آية أنهم يقتلون الأنبياء وهم أنبياء مِنهم ﴿بِغَيرِ حَقٍّ﴾؟ فكيف لا يَقتُل من أجل مصلحة سياسية كبيرة، وهو يَعتبِر أنه سيترتب عليها مصالح مادية وسياسية كبيرة جداً؟! سيدمر ولو مليون شخص مِنهم لا يبالي، فما بالك مِن الآخرين. إذاً فهل تتوقع لأناس من هذا النوع أن يكونوا متجهين لتحرير الآخرين أو للحفاظ على

أمن الشعوب الأخرى، شعوب عربية إسلامية، شعوب أخرى؟ أبداً، فهم مخادعون، مُضلِّلون، كذابون، هكذا قدَّمهم الله في القرآن الكريم؛ ليكون الناس منهم على حذر. فمن هنا نفهم معنى أن يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لأن بني إسرائيل سيحصل منهم مثل ذلك، فنفسياتهم كنفسيات ذلك الذي قَتل أخاه بدون حق هكذا ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾(المائدة:٣٠).

﴿وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾(المائدة:٣٢) وهذه من البينات الهامة جداً أن يقال لهم: إن من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً، ليبتعدوا عن هذه الجريمة الكبيرة التي هم قريبون منها، وليوقعوا هذه العقوبة (عقوبة الإعدام) عليه؛ لأنه ارتكب جريمة كبيرة جداً، فكأنه قتل الناس جميعاً، هل ما زال بالإمكان أن تقول أمام هذه: أن نحاول أن نلغي هذه العقوبة من أجل الحفاظ على حياته، وهو في الواقع كأنه قتل الناس جميعاً؟! عندما قال في الآية: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾(المائدة:٣٢) يأتي أيضاً ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ أَو يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(المائدة: ٣٣) فلتعرف أن هذه الأحكام ضرورية جداً للبشر، لحياة الناس، حياتهم هم، ولممتلكاتهم، وأعراضهم، فيأتي هذا الحكم الإلهي من القصاص؛ لأن هناك حاجة ماسَّة إلى هذا الحكم، والله هو الذي يعلم، وهو الذي له الحكم، وله الأمر في عباده، كما قال سابقاً: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَو فَقِيرًا فَاللّهُ أَولَى بِهِمَا﴾(النساء:١٣٥) هو أولى بعباده، فبالنسبة للقتل هناك حكم القاتل، وهنا أيضاً الذين يسعون في الأرض فساداً.

الإفساد في الأرض لا يتوقف على موضوع - مثلاً - الإفساد الثقافي فقط، بل الإفساد في الأرض يشمل: ممتلكات الناس، أموال الناس، إهلاك الحرث والنسل، كما قال الله، ألم يقل هناك: ﴿وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(المائدة:٦٤) ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٥)؟ هناك شخّص لنا الفساد، أي: أن من الفساد الذي هذا حكمه، هذا الفساد الذي يقوم به فعلاً بنو إسرائيل، فعلى الرغم مما قال بالنسبة لعقوبة القصاص: إنهم هم أحق فئة تقام عليهم هذه العقوبة، وأحوج فئة إلى أن تقام عليهم هذه العقوبة؛ ليرتدعوا عن قتل الناس؛ لأنهم جريئون، كذلك موضوع الإفساد ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى يريد الإصلاح لعباده، وصلاح أرضه لعباده، ورسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كذلك يريد للناس أن يكون هناك استقرار في حياتهم: حفاظاً على أنفسهم، حفاظاً على دمائهم، على أموالهم، على ممتلكاتهم، حفاظاً على واقع هذه الحياة ليكون بعيداً عن الفساد.

تجد الفساد الكبير يأتي من عندهم حتى فيما يتعلق بالبيئة؛ لأنهم أناس جشعون، ولا قيمة للبشر لديهم، هم يمتلكون كثيراً من الشركات الكبرى التي تتولى الصناعات الثقيلة، وصناعات كيماوية، وصناعات تترك نفاياتها آثاراً سيئة جداً في التربة، وفي الإنسان، لا يحسبون حساباً للناس نهائياً، إلاَّ إذا كان هناك شعب يراقب، ويعرف، ويضج متى ما عرف أن هناك حاويات فيها نفايات مُعيَّنة؛ لأنهم أحياناً يصدرونها إلى بلدان فقيرة كهذه، رشاوى مُعيَّنة لمسؤولين مُعيَّنين يعطونهم فيقبل أن تُسكَب نفايات كهذه في بلادهم، هذه تحصل! صناعاتهم الكبيرة فيما يتعلق بالطاقة التي يستخدمونها لا يبالون أن تكون بالشكل الذي يُفسِد الجو، يفسد الأرض والجو وليس فقط الأرض، ولا يبالون بهذه.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلاَفٍ أَو يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ﴾(المائدة:٣٣) أن تأتي العبارة على هذا النحو: ﴿يُحَارِبُونَ اللّهَ﴾ مع أن القضية هي تتعلق بمن؟ بالناس، أليست هنا كأنها تكشف لنا - إن صحت العبارة - اهتماماً، أو أن القضية محط عناية إلهية كبرى، قضية الناس، ومصلحة الناس، واستقامة حياتهم، لتكون حياة صالحة؟ فكأن من حارب الناس ليُفسد في الأرض على هذا النحو إنما هو محارب لله ورسوله، مثلما قال في الرِّبا، ألم يقل: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾(البقرة:٢٧٩)؟ القضية على هذا النحو، ليس هناك حاجة إلى أن تربطها بما يتعلق بمجرد دعوة، أن هذه حتى لو جاءت من ناس هم أنفسهم مسلمون ومعتقداتهم طبيعية، لكن يتحرك إفساداً في الأرض على هذا النحو الذي عرف عن بني إسرائيل فعلاً، فإنه يُعتبَر في موقف محارب لله ورسوله.

لا تُقصَر هذه الآية - على الإطلاق - على ما قدِّم في سبب نزولها، ما يسمى (متقطِّعين) المتقطعون[1] هم فئة نوعية، وقد يكونون من أقل الأنواع التي تشملها هذه الآية، هناك مفسدون عالميون، هناك إفساد عالمي،

(١) المُتَقَطِّعُون: هم قُطَّاعُ الطَّرِيقِ.

ليس معنى المسألة بأنه عندما يقولون: محارب لله ورسوله يربطونها وكأنها عبارة عن صد عن دينه على أساس فكرة: أن هذا الدِّين كأنه لا علاقة له بحياة الإنسان ومصالح الإنسان، لا، بل المسألة على هذا النحو، القضية هامة جداً عند الله ورسوله – إن صحت عبارة هامة على ما نملك من عبارات – بمعنى أنه يجعل من يُفسِد في أرضه، ويُفسِد على عباده، يُعتبَر محارباً له ولرسوله.

أليس هذا يُعتبَر أعلى مثل لاهتمام الدِّين بالإنسان، بحياة الإنسان، بمصالح الإنسان؟ لكن دائماً يتناولها الفقهاء والمفسرون حول الذين يقولون إنهم سبب نزولها (أناس خرجوا إلى منطقة، وقد أعطاهم رسول الله إبلاً، ثم في الأخير قتلوا الراعي، وتقطعوا...إلخ) ثم يبحثون في أحكامهم (فإن كان قد قَتَل قُتِل، وإن كان لم يَقتل، وإن كان، وإن كان...) ويتركون أمامك هذه النقطة، يجب أن تقرأها في موضعها هنا، تقرأها في موضعها في إطار وكأنه يُقدِّم قضايا عالمية، وينبئ عن خطورة عالمية، لا تربطها فقط بمثال مُعيَّن وأبحاث فقهية حول حكم المتقطعين فيما إذا كان قد قَتَل أو لم يَقتُل، وأشياء من هذه، لا، هناك مُفسِدون عالميون، هؤلاء المفسدون العالميون أو الإقليميون أو الوطنيون أو كيفما كانوا مفسدون في الأرض ويُعتبَرون حرباً لله ورسوله.

فيما يتعلق بتصنيف الموقف منهم، هي قضية أيضاً ليست قضية مفتوحة لكل إنسان ينطلق فيها، لا. إن القرآن كله مبني من أوله إلى آخره على أن هناك دولة قرآنية، أن هناك أمة قرآنية، تُقيم القسط، هي المعنية هي بماذا؟ بتقييم القضية، وفي نفس الوقت بإجراء الحكم الإلهي، والذي قد يكون واحداً من ثلاثة، أو ثلاثة، أو اثنين مثلاً عندما يقول: ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلاَفٍ أَو يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ﴾(المائدة:٣٣) هكذا من البداية، وإن لم يكونوا قد قَتَلوا؛ لأنك لاحِظ عندما يقول بعد: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(المائدة:٣٤) أمَّا من قد قَتَل فعلاً فهناك حكمه سواءً كان متقطعاً أو غير متقطع، مَن قد قَتَل أو قد أخذ مالاً، أو قد ظلم إنساناً، أو جرحه بجرح مُعيَّن، فإنه يُجرى عليه الحكم، لكن هم يربطون القضية: ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلاَفٍ﴾ على أساس أنهم قد ارتكبوا، ودائماً يربطون المسألة بالمتقطعين فقط، لا، أمامك المفسدون العالميون.

أولئك هم فئة من المفسدين في الأرض، نوعية منهم، المتقطعون الذين يتقطعون للناس، وينهبون أموالهم، هذا فساد في الأرض؛ لأنه يؤدي إلى ماذا؟ يؤدي إلى أن الناس لا يستطيعون أن يتحركوا في التجارة، في السفر، في الحركة من بلد إلى بلد، عندما يصبحون متقطعين ويخيفون الناس ويأخذون أموالهم فهؤلاء ممن يُجرَى عليهم الحكم لماذا؟ لأنهم مفسدون في الأرض. يُبيِّن بأنه هكذا حكم الله سبحانه وتعالى وسُنته في المجرمين: أن يكون هناك عقاب من الدنيا إلى الآخرة، من هذه الحياة: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(المائدة:٣٣).

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ﴾(المائدة:٣٤) رجعوا، وسلَّموا أنفسهم، وتابوا إلى الله ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ﴾ من قبل أن تقبضوا عليهم، أمَّا الشخص الذي عندما تقبض عليه بعد ذلك يتوب فهذه المسألة تُعتبَر حيلة، فتقيَّم في حينها، أيضاً تقيَّم بعض القضايا في حينها، أحياناً قد يكون هناك بعض أشخاص ممن يقال لهم: مغرر بهم، بعض أشخاص قد يكونون مغرراً بهم، قد يكون جديداً في القضية، وزيَّن له الآخرون، ربما هذا قد يكون – فعلاً – مظنة أن تكون هذه أول وآخر قضية يعملها، تُقدَّر بقدرها، وتقيَّم في وقتها.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(المائدة:٣٤) هذه القضية لا تخضع للاجتهادات والرؤى الخاصة أو الرؤى الطائفية والمذهبية بين الناس، أن يَعتبِر أحد من الناس أن الآخرين قد صاروا يُعتبَرون من المفسدين في الأرض؛ لأنه مخالف لمذهبه، هذا شيء آخر يُقيَّم في حينه، إذا كانت دعوته هي تؤدي إلى فساد في الأرض فعلاً، عادة الإفساد في الأرض إنما يأتي على يد الإنسان، هذا معلوم، فإذا كان ما يعمله هو فعلاً يؤدي إلى أن يُصبح الإنسان مفسداً في الأرض، فيمكن أن تكون القضية شاملة، ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار ﴿فِي الأَرْضِ﴾ ليس معناه: واقفون في الأرض، كل الناس في الأرض المفسدين والمصلحين أليسوا كلهم في الأرض؟ لكن الفساد الذي يؤثر فعلاً على حركة هذه الحياة، واستقامة هذه الحياة وصلاحها، فيما يتعلق بحرث ونسل، وحركة تجارة، وأشياء من هذه، تشمله الآية.

فإن كان ما تعنيه كلمة (فساد) و(مفسد) قد تتناول حتى مَن عنده رؤية ثقافية خطأ، أليست تُعتبَر فساداً؟ لكن أحياناً لا تؤدي إلى ماذا؟ إلى إخراج مثلاً من يعتنقونها فيتحولون إلى مفسدين في الأرض، مفسدين (فاسد) هذا يُسمى فاسداً، المنافق ألا يُسمى مفسداً؟ يسمَّى مفسداً.

إذاً لم يأتِ الحكم هنا بالنسبة للمنافق على هذا النحو، هناك في آيات أخرى؛ لنعرف أن القضية فعلاً هنا مرتبطة بماذا؟ بالإفساد في الأرض، أي: بحركة هذه الحياة على الوجه الصحيح، تستقيم معايش الناس، ويأمن الناس، وتستقر حياتهم، معنى هذا بأن من يتجهون ليسعوا في الأرض فساداً أنهم محاربون لله ورسوله، عندما يكون هناك أناس (متقطِّعون) ويتصور أنه "متفوِّد"[1] وكأنه لا يعمل شيئاً، وكأنه يَعتبِر أنه فقط على أناس، لا، أنت هنا في مقام تُعتبَر محارباً لله ورسوله، فيجب أن تفهم بأنك عندما تكون في موقع أنت فيه حرب لله ورسوله فستكون أنت المغلوب، سواءً على مستوى (متقطع) أو أمة، أو دولة مفسدة في الأرض، أنها ستنتهي إلى أن تُغلَب، من الذي يمكن أن يدخل في حرب مع الله ثم في الأخير يحصل تعادل؟ لا يمكن على الإطلاق، متى ما ذكر بأنه فعلاً ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(البقرة:٢٧٩) وهنا ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(المائدة:٣٣) معناها سيُغلَبون في الأخير، وكما يذكرون فعلاً بأن كثيراً ممن كانوا يتقطعون انتهت حياتهم بطريقة سيئة، ممن كانوا يتقطعون ولم يتوبوا، ولم يرجعوا، أنهم فعلاً انتهت حياتهم إلى مصائب حصلت لهم، انتهوا. كذلك الأمم المفسدة، كذلك الفئات المفسدة متوقع لها فعلاً عندما تُعتبَر محاربة لله ورسوله، متوقع لها فعلاً أن تنتهي وتُهزَم وتُضرَب.

عندما يقول البعض: (الإسلام لا علاقة له بالحياة) نقول: هذا أبرز مثال يدل على أن أموال الناس، وممتلكاتهم، وأمنهم، واستقرار حياتهم، ومصالحهم، محط اهتمام كبير جداً جداً في الإسلام، هنا يَعتبِر المفسدين في الأرض حرباً لله ورسوله، أي: كأنه لا يعتبرهم محاربين للناس، هذه قد لا تحصل مثلاً في داخل الناس أنفسهم إلاّ عند الناس الذين هم يهتمون بك جداً، ويعتبرون أن نفسك أغلى من نفوسهم، وأموالك أغلى من أموالهم، عندما يقول: (احذرْ فإن اعتداءك على فلان يعني اعتداءً عليَّ) أليس هذا قمة الوفاء بين الناس أو المصداقية مع بعضهم بعض، أو وده لك، واهتمامه بك أن يقول: (اعتبِرْ محاربتك له حرباً لي أنا)؟ لا تحصل بين الناس – أحياناً – إلى هذه الدرجة، الذين بينهم "صُحَب"[2] وبينهم مواقف يقفون مع بعضهم بعض، إلّا أنه يَعتبِر أن من حاربك فسنحاربه جميعاً، هنا يقول: اعتبروا أنفسكم محاربين لله ورسوله، من حارب الناس وأفسد في أرض هؤلاء الناس يُعتبَر حرباً لله ورسوله.

لاحِظ كيف تأتي العقوبة هنا بشكل ليكونوا عبرة للآخرين، ولتبين فظاعة هذه الجريمة التي عملوها (الفساد في الأرض) ﴿أَن يُقَتَّلُوا﴾ ما زال فيها أكثر من (أن يُقتَلوا) ﴿يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ﴾ فيمشي على رجل ويد، فلا يبقى إلاّ نصفه؛ ليكون عِبرة. ﴿أَو يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ﴾ لتكون عقوبة فيها خزي لهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة:٣٥) يأتي بالجهاد، الجهاد هو أساسي في ماذا؟ في إصلاح الأرض، في إصلاح الأمة، في إصلاح حياة الناس؛ ولهذا سمَّى الله المجاهدين محسنين؛ لأنهم – فعلاً – يقدِّمون بأعمالهم إحساناً للبشر، للآخرين، مجاهدون في شعب مُعيَّن ماذا يعني في الأخير؟ أليس هذا يعني أنهم يحولون دون احتلاله، دون نهب أموال الناس، دون هتك أعراضهم، دون تدمير بيوتهم، دون... ماذا يعني هذا؟ ألاَ يعني: مصلحين؟ أليس هؤلاء يجاهدون، وتكون النتيجة إصلاحاً لحياة الناس؟ لكن الأمور الآن معكوسة، المفسدون العالميون الذين هذا حكمهم ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ﴾ يحاولون أن يتوددوا إليهم بأيِّ طريقة، يتوبون إليهم هم وليس ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ﴾ هم يرجعون إليهم، ويفسحون المجال أمامهم ليفسدوا، بأن يقولوا: لا يتحدث أحد عن موضوع الجهاد، في خطبة، أو في آيات يقرؤها، أو أن يوعِّي الناس توعية جهادية، لا، اترك المجال مفتوحاً للمفسدين أن يُقتّلوا الناس، ويصلِّبوهم، ويقطّعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويدمِّروا بيوتهم، ويهلكوا حرثهم ونسلهم!

أليس هذا هو العمى؟ هذا هو الشقاء، وهذا هو الجريمة الكبيرة، أن يكون حكم الله فيهم هو هذا فيأتي الآخرون يحاولون أن يجعلوا الحكم بأن يُفسِح المجال أمامهم ليفسدوا في الأرض، وقال عن بني إسرائيل في آيات أخرى: ﴿وَيَسْعَونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾(المائدة:٦٤) وبإسراف مثلما قال سابقاً: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾(المائدة:٣٢) فساد، سعي، يسعون إلى الفساد وبإسراف وليس فساداً أحياناً أو بمقدار محدود، أو في جانب دون جانب، بل بكل ما تعنيه كلمة فساد، يَصلون إلى النسل، ألاّ يُنجِب الناس من جديد، يكفي،

(١) المُتَفَوِّد: من اللهجة العامية: وهو الذي يجمع المال دون عناء ولو بطريقة غير مشروعة.

(٢) الصُحَب: من اللهجة العامية: وهي المواثيقُ التي تندرج ضِمْنَ التحالف بين القبائل، وتكون مَبْنِيَّةً على الصِّدقِ والوفاءِ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ.

الذي يُفكر بألاّ تنجب نهائياً أليس معناه أنه يفكر بأن يزيل هذا الجنس من أمامه؟ لأن المسألة تكون صعبة عليه، أنه كلما حاول أن يُميت أناساً بأيِّ طريقة أنجبوا أنجبوا باستمرار، فيقطع النسل أولاً، ثم يحاول أن يقضي على الموجودين، أليست هذه فكرة فساد في الأرض رهيب وجُرْأة؟ كما حكى الله عن ابن آدم الأول؛ ولذلك قال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(المائدة:٣٢) لديهم جُرْأة على مستوى البشر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾(المائدة:٣٥) هذه المقدمة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ابحثوا أنتم، ابحث أنت، واطلب أنت ما يقربك إلى الله؛ فيأتي بكلمة ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ هل يمكن أن يأتي بكلمة ﴿وَجَاهِدُوا﴾ دون أن تكون هذه تعني: أن هذا من أعظم القرب عند الله، وأعظم الوسائل عنده؟ إذاً ليس أن تبتغوا وتطلبوا ألاّ تدخلوا في جهاد مهما كان بسيطاً كما هو حاصل، أو آخرون يبتغون ألاّ يوجَّه الناس ولا يُربِّى الناس تربية قرآنية ليكون عندهم روح جهادية! هو نفسه لا يبتغي هذه الوسيلة، وفي نفس الوقت يحاول في الآخرين ألاّ يكون في أنفسهم أيُّ شعور بمسؤولية لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة:٣٥) بكل ما تعنيه كلمة فلاح، فلا يكون هناك مفسدون في الأرض على هذا النحو، ولا يكون هناك ما يجعل الفساد يُقعِد الناس عن دين الله الذي من أبرز اهتماماته ما يتعلق بالحفاظ على كرامة الناس واستقرار الحياة لتُعتبَر حياة أمن وسلم وخير، وهذا الذي وعد الله به، ألم يعد بهذا؟ إذاً فلأن هناك أناساً من البشر على هذا النحو: مفسدون، فيجب أن يكون الجهاد قائماً. ولن تدخل في موضوع الجهاد - إذا كنتَ تجاهد على أساس القرآن - لن تدخل مع أمة هي مصلحة في الأرض؛ لأن الصلاح يتمثل في الأخير في ماذا؟ في الاهتداء بهدي الله، أليس الله يذكر لنا في أكثر من آية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾؟ أوتوا نصيباً فلم يهتدوا به، فأصبحوا هكذا، أصبحوا مُفسِدين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو أَنَّ لَهُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَومِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(المائدة:٣٦) جاء في آية مماثلة لهذا في الحديث عن بني إسرائيل الآية التي يقول فيها: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾(البقرة:٤٨) ذكر فيها ما يتعلق بالطرف الآخر الذي يجب على الناس أن يجاهدوه؛ لأنه هنا عندما يقول لك: جاهد في سبيل الله، من خلال أن يُبيِّن لك الفئات الأخرى تكون عارفاً بفطرتك، وبمشاهدتك، وباستقرائك للتاريخ ولواقعك: أن الجهاد في الإسلام إنما هو لفئات كهذه، أي: أنت لن تقع في حرج أن الجهاد هنا الذي يأمر الإسلام الناس به أنه جهاد طيبين وخيرين ومصلحين في الأرض، أبداً، بل جهاد مفسدين في الأرض، كافرين، مخالفين لهدي الله، وأشياء من هذه، وهو نفس الأسلوب السابق الذي تحدثنا عنه كثيراً أن يطمئنك بالنسبة للطرف الآخر أنه ماذا؟ محط غضب إلهي، فهو في موقع ضعف.

وقد يُفهم منها أن الإنسان قد يرفض حفاظاً على مصالحه أو على شيء مُعيَّن من الأرض: مظاهر حياة، أو بيته، أو أشياء من هذه، أليس قد يرفض الجهاد من أجل هذه؟ هو لا يعرف عواقب المسألة، أنك عندما ترفض تُعتبَر عاصياً لله سبحانه وتعالى، ومن أجل شيء بسيط من هذه الدنيا، يوم القيامة تتمنى أن هذه الأرض كلها لك لتفدي نفسك بها ولا تُقبَل منك على الإطلاق ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو أَنَّ لَهُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ لتمنوا أن يفتدوا به بديلاً عن أن يدخلوا النار. إذاً أليس الأسلم لك والأفضل لتعيش سعيداً ومعززاً مكرماً في هذه الحياة، وفي الآخرة الجنة، ولو أدى الموضوع إلى أن تضحي بنصف هذه الأرض؟ ولو بنصفها هنا وما زلتَ في الأرض، لو أدى الموضوع إلى أن تضحي بنصف هذه الأرض وهي لك لكنتَ رابحاً، وكنتَ مفلحاً.

إذاً هم خاسرون بكل المقاييس، الذين يحاولون أن يتراجعوا عن الجهاد من أجل أشياء مُعيَّنة، مصلحة لا تساوي شيئاً، لا تُعتبَر نصف مديرية هو فيها، قد لا تُعتبَر نصف قرية هو فيها، فتكون النتيجة في الأخير أنه يتمنى أن تكون له الأرض ذهباً مثلما جاء في آية أخرى، وسيسلمها إذا كان الله سيقبَل أو يقبل زبانية جهنم أن يأخذوها ويسلَم من النار، أليست هنا ستصبح لا شيء عنده، ويتمنى أن يقبلوها منه؟ إذاً معنى ذلك أنك يجب أن تسارع إلى أن تفدي نفسك هنا في الأرض، وأنت مازلت في هذه الحياة، تفدي نفسك من غضب الله، وسترى الله على ما وعد في كثير من الآيات، ألم يعد بأن كل ما يقدِّمه الإنسان في سبيله سيُخلفه عليه؟ الله لا يقبل على الإطلاق أن يكون أحد خاسراً معه نهائياً، حتى لو خسرت روحك سيجعلك حياً وبسرعة، لا توجَد خسارة نهائياً؛ ولهذا يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة:٣٥) وبكل ما تعنيه الكلمة في كل المجالات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو أَنَّ لَهُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَومِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(المائدة:٣٦،٣٧) لاحظ هنا

العلاقة فعلاً؛ ولذلك نحن نقول أكثر من مرة: بأن القرآن يلامس مشاعر الإنسان، أي: أناس قاعدون لا يريدون أن يجاهدوا، وترى لديه مشاعر مُعيَّنة، يريد أن يُقِيم فيما لديه من الأرض وهي ليست شيئاً، ويريد ألاّ يخرج منها، وفي نفس الوقت لا يبالي بالعاقبة كيفما كانت، أليست هذه كلها تشكّل عوائق عند الناس؟ يأتي بكلام يزيح مثل هذا الشعور بحيث تعرف نفسك أنك خاسر، ستكون خاسراً، وفعلاً عندما يراجع الإنسان نفسه فيرى بأنه قاعد من أجل بيت ومزرعة ودكان وأشياء من هذه، ويريد ألاّ يزعجه أحد، يريد إقامة، ولا يزعجه أحد نهائياً، المزعجون سيأتونك، إنما الجهاد لتضرب أولئك المزعجين الذين يريدون أن يقيموا بدلاً عنك في أرضك وفي ممتلكاتك. فعندما يرى نفسه في الأخير بأنه سيصل إلى حالة أن يُقِيم في عذاب، هذا العذاب شديد يتمنى أنه يملك ما في الأرض ومثله معه ليفدي نفسه به، هذه تُعتبَر خسارة كبيرة.

أن تأتي الآية على هذا النحو؛ لتَنسِف عند الإنسان أيَّ مشاعر تشده إلى ماذا؟ إلى قطعة أرض، مزرعة وفيها غرف وأشياء من هذه ورآها جميلة، أو حديقة مُعيَّنة، أو دكاكين، أو كيفما كانت، وإن كانت مملكة فليست بشيء. لأن الجهاد مهم جداً، فيأتي بهذه الآية التي فيها أمر مؤكد، ويلفت الانتباه إلى أهمية القضية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾(المائدة:٣٥) أن تأتي بعد الحديث عن المفسدين في الأرض، ألم يأتِ بها بعد الحديث عن المفسدين في الأرض؟ أن الجهاد لا بديل عنه؛ لئلا يكون هناك فساد في الأرض. عندما يكون أحد هنا في الدنيا يريد أن يخرج لكن ينظر إلى مزرعته وبيته وأموره فيقعد، إذاً سيأتي له هذه الحالة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ أليس هنا يُقِيم؟ يحاول أن يخرج من بيته ثم في الأخير يعجبه أن يقيم، وفي النار ستحاول أن تخرج ولا يتركونك أن تخرج ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ بدل يوم كنت تحاول الإقامة ولا تَعتبِر ذلك مشكلة.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا﴾(المائدة:٣٨) أليس الجهاد جاء متوسطاً للحديث حول الفساد في الأرض على هذا النحو؟ بما فيها ماذا؟ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا﴾ السارق هنا هل هو يسرق دِيناً، أو أنه يسرق ممتلكات الناس؟ لأن الدِّين هو لرعاية الناس وحمايتهم. ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(المائدة:٣٨) إذاً هو يُقدِّم للناس قائمة بعد أن قال لهم: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾(المائدة:٨) هذه هي مهام أمة: أن تكون قائمة بالقسط، محاربة لمفسدين في الأرض، جهاد في سبيل الله، إقامة لحدود الله.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا﴾ وعقوبة السرقة مما يحاولون أن يحاربوها؛ لأن المفسد فعلاً يَعتبِر أن هذه القضية فظيعة؛ لأنه لا يريد أحداً أن يقتله، ولا يريد أحداً أن يقطع يده؛ لأنهم سرقٌ كبار، فيحاول ماذا؟ أن يزيح أيَّ شيء يشكّل خطورة عليه، وكما هي عادتهم تحت عناوين أخرى، مثلاً (بشعة، بشعة) ليس هناك أبشع من أخذ أموال الناس، هذه هي البشاعة، يأتي إنسان – مثلاً – يعمل فترة طويلة، ويبيع أشياء من ممتلكاته، ويشتري له سيارة، وقد عزم على أن "يترزق الله عليها"[١] وأخذَها السرَق[٢] عليه، أليست هذه حالة سيئة جداً؟ كيف ستكون نفسيته؟ ستكون نفسيته منهارة، هذه هي البشاعة، عندما نقف في الموضوع، هنا أمامك شخص مرتاح جداً لأنه قد أخذ سيارة شخص، وذلك الشخص في حالة سيئة، محطم نفسياً، يعود إلى البيت، لا يستطيع أن ينام، ولا يستطيع أن يأكل، ولا يهنأ بشيء، إذاً هل نقول: لا، لا، اتركْ ذلك يموت بقهره، وهذا السارق نحافظ عليه، ولا تَقطَعْ يده أبداً؟! أليس معناه أننا نضيف له سروراً إلى سروره؟ ينطلق ليسرق أكثر، فما بالك بالسرق الكبار.

هنا أيضاً يُبيِّن للناس في هذا الحكم أن هذه الفئة من الناس فعلاً تُوقِع ظلماً بالآخرين، ظلماً شديداً، ينظر الإنسان إلى نفسه هو، أحياناً بعض المرضى يجمع له فلوساً ويطلب معونة من الناس، ويبيع من ممتلكاته، ويسافر إلى بلدة مُعيَّنة أو يدخل العاصمة يريد أن يتعالج وفلوسه في جيبه، وهو لا يعرف إجراءات مُعيَّنة: تحويلات بنكية وأشياء من هذه، وجاء شخص وأخذها من جيبه أو لقيه اثنان وأخذوها عليه من جيبه، وهو مريض يريد أن يتعالج بها، والسارق قد يكون صحيح الجسم مثل (الثور) إنما فقط سيأخذها ويلعب بها، هنا أيضاً (لا يُقام الحد عليه! لا تُقطَع يده! فلْيمت ذلك المريض الذي باع ممتلكاته "وتَعوَّن"[٣] وبذل ماء وجهه

(١) يَتَرَزَّق الله عليها: من اللهجة العامية، أي: يستخدمها وسيلة للحصول على الرزق.
(٢) السَّرَق، تعني: اللصوص.
(٣) تَعَوَّنَ: طلب المعونة من الناس.

من أجل أن يذهب ليتعالج، لا أسف عليه فلْيمت، نحافظ على هذا السارق)! هم فعلاً كل فكرتهم - لأنهم مفسدون - حريصون جداً على ألاّ تكون هناك عقوبات لمفسدين، والقرآن يُقدِّم هنا أنه فعلاً من تتوجه إليهم هذه العقوبات هم مفسدون، وهم المفسدون، هم يدافعون عن إنزال عقوبات، وإقامة حدود على مفسدين. إذاً هذا نفسه مما يؤكد لنا أنهم مفسدون في الأرض، أليس هذا مما يؤكد لنا أنهم مفسدون في الأرض؟

المفسدون في الأرض الآن مثقفون، قانونيون، يحاول على ألاّ يلحقه القانون، ألاّ يلحقه الشرع؛ ليتمكن من أن يرتكب جريمة، ويفسد، ويأخذ أموال الناس، وليس هناك أيُّ شيء يخافه نهائياً. العقوبات في الحياة ضرورية، لأن الكثير منهم أصحاب نفوس خبيثة، لا يخاف الله، مثلما ذكر في قصة ابني آدم، مَن نفسُه خبيثة فهو لا يذكر الله ولا يخاف الله، أي: هو ناسٍ لله، لا تتوقع إنساناً يعرف الله حق المعرفة ثم لا يخافه، لكنه ناسٍ لله تماماً ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾(المائدة:٣٠) مطيع لنفسه، نفوس خبيثة، أن يقول أحد: (يكفي، وسيأتي لهم عقوبة هناك)! لا، هذه سُنة إلهية: تأتي عقوبة هنا في هذه الحياة حتى لغير هؤلاء، هناك عقوبات كثيرة جداً.

إذاً لا بُد أن تنزل عقوبة بهؤلاء، ويكون هناك أمامهم عقوبات يخافون منها؛ لئلا يرتكبوا مثل هذه الجرائم؛ لأنهم ليسوا نوعية يمكن أن تخاف الله رب العالمين، فتقول: إن هؤلاء هم يخافون الله لن تحصل منهم جريمة كهذه، لاحِظ كيف يحاولون أن يحاربوا عقوبة الإعدام، وألاّ تُقام حدود كهذه: كحدود السرقة، وشرب الخمر، وارتكاب الفاحشة، وكل ما كان محط حد من حدود الله، بل يزينون هذه الجريمة الكبيرة: احتلال الشعوب، أخذ شعب بكله إلى جيبه، أخذ شعب بكله.

فتأتي الحكومات العربية التي تدين بهذا القرآن وتؤمن به، كثير منها يحاولون ألاّ ينفذوا هذه العقوبات من أجل أن يرضى الغرب، من أجل أن ترضى أمريكا، من أجل ألاّ نبدو بصورة بشعة أمام الغرب، فيبدو وكأن ديننا هذا دين بشع! لا، لاحِظ أنه هنا قدَّم أن هذه الجرائم هي جرائم بشعة، وإنما يرتكبها مفسدون في الأرض، لا يخافون الله، يجب أن تكون هناك عقوبات تردعهم؛ لأن البشاعة هي أن يُترَك المجرمون طليقي الأيدي لا يخافون أيَّ شيء هنا، وفي نفس الوقت لا يخافون الله رب العالمين، يحاولون فعلاً ألاّ يُنفّذوا هذه العقوبات من أجل أن ترضى أمريكا، والآن وصل الموضوع إلى ماذا؟ إلى أن يسترضوها إلى درجة إلغاء هذه الحدود الإلهية الهامة مثل قطع يد السارق! أليست أمريكا الآن متجهة لقطعهم من نصف ظهورهم؟ فعلاً.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾(المائدة:٣٨) كما قال هناك في عقوبة القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾(البقرة:١٧٩) لأن قطع يد السارق هي فعلاً نكال لِمَا بين يديها وما خلفها، لن يجرؤ أحد أن يسرق وهو يعرف أنها ستُقطع يده، فتتحول يده إلى ما يشبه قطعة من الخشب. ولمصلحة مَن أن يكون هذا ﴿نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾؟ أليس لمصلحة الإنسان؟ ليأمن الناس على أموالهم.

﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فهو عندما يُشرِّع هذه العقوبة هنا في الحياة ليس على أساس (الحقوا السارق لأننا لا نستطيع اللحاق به) هو عزيز لا أحد يستطيع أن يمتنع منه، لكن من أجل الناس هنا في هذه الحياة، وهو حكيم يعلم أن في تشريع حدود كهذه مصلحة لعباده، وصلاحاً في أرضه، لم يشرِّع هذا الحد على أساس أنه لن يستطيع أن يلحق بالسَّرق، وأنه (الحقوهم لأنني لا أستطيع اللحاق بهم) لا، هو عزيز، وهو حكيم، وللسارق أيضاً أن يتذكر بأنه إذا رأى بأنه أمكن أن يسرق، ولا أمكن أن تصل القضية إلى إقامة الحد عليه لأيِّ اعتبارات كانت ليعرف بأنه لن يفلت من يد الله، أبداً.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(المائدة:٣٩) هذه دعوة لهم أن يتحولوا عن أخذ أموال الناس، وعن الفساد في الأرض أن يتوبوا إلى الله.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(المائدة:٤٠) هذا هو ملكه، هذا تدبيره، أحكامه، تشريعه؛ لأنه هو الملك، هو الملك بكل ما تعنيه الكلمة، وليس المعنى أنه عمل انقلاباً على آخر، هو الذي خلق هذه الأرض، وخلق السماء، وخلق ما فيهما، وخلق هذا الإنسان، وهو الذي له ملك السموات والأرض، فمِن ملكه سبحانه وتعالى أنه: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾(المائدة:٤٠) أي: هو المدبِّر لشؤون خلقه؛ لأنه مَلِك، وهذا يعطينا - مثلما تقول - جانباً من معرفة الله التي نقول دائماً: نحن بحاجة إليها، أن نعرف أن الله مَلِك، وليس أن نكون مشغولين دائماً بمعرفة (أنه لا يشبهه شيء) انتهى الموضوع، لكن يجب أن نفهم كل ما تعنيه هذه العبارة، أنه هو الملك، فهو الذي له الحق أن يشرِّع، لو أصبحت هذه المعرفة قائمة في نفوس الناس لكانوا دائماً مصرِّين على إقامة شرع الله؛ لقلنا أبداً الذي له الحق أن يشرِّع لنا وله الحق أن تقوم أحكامه علينا هو

مَلكنا، لسنا فارغين بدون سلطة، بدون مَلِك، الله هو ملكنا، لكن البشر لم يعودوا يلتفتون إلى الله وكأنه ملك، يقومون هم من جهة أنفسهم يعملون سلطة ويعملون قوانين ويعملون كل شيء بعيدة عن أن تكون امتداداً لملك الله سبحانه وتعالى، لكن هو مَلِك يدبِّر في نفس الوقت، عندما لا يستمعون فإنه يضربهم، عزيز حكيم، على كل شيء قدير.

لكن تلاحِظ أن هناك مظهراً ملموساً فعلاً بالنسبة للمسلمين أنفسهم، بالنسبة لكل طائفة هي تدَّعي بأنها محقة بما فيها نحن الزيود، ألسنا ندَّعي أننا الطائفة المحقة، إذاً هنا الناس كمسلمين تتكرر هذه الكلمة كثيراً في القرآن ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لكن لم تعد تُقدَّم ضمن معرفة الله سبحانه وتعالى، فأصبحنا وإذا نحن نشعر بفراغ، فراغ سلطة، وفراغ قانوني، ألم يُصبح المسلمون هكذا؟ فجاء الغربيون وعبؤوا هذا الفراغ عن طريق دساتير، قوانين، ومستشارين قانونيين من هناك ليعبئوا هذا الفراغ، والناس هنا في هذه الحياة كل واحد مِن عنده "بشطارته"[1] من يعمل انقلاباً عسكرياً وأصبح يمثل سلطة، أو سلطة مثلاً تكون وراثة أو كيفما كان الأمر، المهم ناسون أن الله هو مَلِك السموات والأرض، حتى نقول: نحن لسنا نعيش حالة فراغ، أحكام الله موجودة يجب أن تُطبَّق، شرع الله يجب أن يُطبَّق، إذاً لسنا بحاجة إلى أطراف أخرى أن تُشرِّع لنا.

أمَّا أن تصل المسألة إلى محاولة أن يكون ما يأتي من تشريع من جهة الناس يكون أيضاً بالشكل الذي يُقدِّم شرع الله خطأ فهذه لا تزال جريمة أخرى كبيرة، الله يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(المائدة:٤٠) بمعنى ماذا؟ اعلم، اعلم، اعلموا ﴿أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ حتى تروا بأنه أولى بكم، وتعرفوا أيضاً كيف ملكه فيكم، مُلْك الله لعباده ملك رحمة ليس ملك تسلط وقهر وطغيان وجبروت كما هو ملك البشر.

مِن الأشياء الغريبة أنهم "ملاحقون وراءك"[2] حتى لا يطلَع في نفسك تشبيه لله، ونحن نقول: هذه هي قضية بعيدة عن الذهنية، مضمون ألاّ يحصل تشبيه إذا تُرِك الناس على فطرتهم ويُقدِّم لهم القرآن، لا يحصل تشبيه لله في النفوس نهائياً (معرفة الله: ألاّ يشبهه شيء، ألاّ يشبهه شيء باستمرار باستمرار) والآخرون مِن هناك: (أن له وجهاً وله يدين، و...) ناسين قضايا هامة جداً في معرفته، أن نعرف أنه الملك، إذا ما ترسَّخت هذه القضية عند عباده أنه مَلِكهم كانوا قريبين بأن يطبّق شرعه عليهم، ولا يقبلون أيَّ شرع آخر يُطبَّق عليهم غير شرعه، ولا أحد فعلاً يستطيع أن يحول دون ملكه، لكنهم يسلكون بهم طرقاً أخرى، الدول التي تحاول فعلاً ألاّ يقطعوا يد السارق؛ لأن الكثير منهم سرَق، وهذه عادة لا يحاول أن يحارب إقامة حدود كهذه إلاّ مَن هم ممكن أن يرتكبوا، ومتجهون لارتكابها، من أجل ألاّ تطاله يد القانون كما يقولون.

إذاً عندما حاولوا ألاّ تُقام هذه الحدود من أجل الغرب، أليسوا ناسين لملك السموات والأرض؟ إذاً تجد في الأخير أليست يد الغرب الآن متجهة لقطعهم؟ هم مِن ضمن تدبيره هو مَلِك، وليس أن الله في الأخير يُنفى كما يحصل لملك في هذه الدنيا أو زعيم عملوا انقلاباً عليه ونفوه، قد صار هناك في أيِّ بلد آخر: في بريطانيا أو في فرنسا! لا، إذا أرادوا أن يُطبِّقوا أحكامه وإلاّ فسيطبِّق هو أحكامه، هو مدبِّر يومياً ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(الرحمن:٢٩) ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيهِ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(السجدة:٥) من تدبيره في الأرض نفسها ناهيك عن باقي العالم، من تدبيره في اليوم الواحد ما يساوي ألف سنة في هذه الأرض ماذا يعني؟ تدبير مُلْك، وهو واضح فعلاً الآن تدبيره تدبير مُلْك واضح، أليسوا الآن يحاولون بأي طريقة أن يسترضوا اليد الأمريكية التي تريد أن تقطعهم؟! ولم يعد هذا ينفع نهائياً؛ لأنهم في الماضي كل عملهم ساهرون من أجل أن ترضى عنهم أمريكا، ويكفرون بشرع الله من أجل ماذا؟ أن يسترضوا الآخرين ويأخذوا منهم شرائع أخرى غير شرائع الله.

تأتي الآية هنا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ أليست هنا موجَّهة بصورة أولية إلى الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ هكذا هو يشرِّع، وهكذا هو سبحانه وتعالى يدبِّر، وهو العزيز الحكيم، ألم تعلم أنه ملك السموات والأرض؟ بمعنى: أن هذه القضية قد تغيب عن ذهنية الناس، وأن محاولة ترسيخها في الذهنية قضية هامة؛ لهذا نحن نقول: إن معرفة الله لا تحصل على الإطلاق إلاّ من خلال القرآن، أمَّا معارف أخرى من داخل كتب (علم الكلام) فهي معرفة أحياناً تتناول الأشياء التي لا وجود لها، أشياء لا وجود لها على الإطلاق، قضية التشبيه لن يحصل في ذهنك تشبيه لله،

---

(١) الشطارة هنا من اللهجة العامية، وتعني: الذكاء.

(٢) ملاحقون وراءك: من اللهجة العامية، وتعني: يتابعونك باهتمام.

إلاّ أن يُقدَّم لك بشكل عقائدي، وتُرسَم صورة، ويحاولون أن يدخلوها في ذهنك غصباً عنك كما يعمل الآخرون، لكن في وضعيتك الطبيعية لا مجال للتشبيه نهائياً، نحن من هنا مشغولون بهذه، والآخرون من هناك مشغولون بأن الله له وجه ويَدان، ويجب أن تؤمن بأن له وجهاً ويدين، إلى أن صرنا لم نعد نعرف وجوهنا من خلف رؤوسنا في هذا العالم، لماذا؟ لأننا لم نعرف أنه مَلِك، أنه الإله فنعرف ما تعنيه هذه الكلمة.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَومٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيئًا...﴾(المائدة:٤١) إلى آخر الآية. لاحِظ بني إسرائيل فيما يتعلق بتشريعات من هذه دائماً "يحتاجون أن يكون لهم شور وقول"[1] فيها، لا يحزنك هؤلاء، لا تهتم بهم، وتعني بشكل أساسي: أن الناس كل الناس في مجال تطبيق شرع الله يجب ألاّ يراعوا الآخرين والذين هم هؤلاء، وهذا الذي حصل، ألم ينطلقوا في الابتعاد عن تطبيق شرع الله، والالتزام به من أجل الآخرين؟ لأنهم أصبحوا يحزنهم أن يستاء الآخرون من أن نُطبِّق شرع الله هنا، نحن نريد ألاّ يحزنوا، هنا يُقدِّم في البداية توجيهاً للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لا تهتم بهم، لا تحزن، لا يحزنك أمرهم أن يستاؤوا، أو أيُّ شيء من هذه، أو يقولوا ما قالوا في مواجهة أنك تُطبِّق شرع الله، وتعلن شرع الله ما هو.

إذاً أليس المسلمون بحاجة إلى هذه التربية؟ وهم فعلاً إنما اتجهوا للقضاء على الكثير من حدود الله ومن شرعه من أجل ألاّ يستاء الآخرون؛ لأنه يحزنهم أن يستاء الآخرون، يريدون أن يرضوا عنهم من اليهود والنصارى، أو منافقين، أليست تبيِّن لنا فعلاً مَن الذي سيستاء من إقامة أحكام الله؟ الفئات المفسدة فقط، من الذي سيستاء من إقامة جهاد؟ مَن هم؟ المفسدون، مَن الذي سيستاء من إقامة حدود الله، إقامة شرعه؟ مَن؟ المفسد؛ لأنه يعرف أن معناه إقامته عليه، أليسوا هم هكذا يتجهون ألاّ يكون هناك حديث عن الجهاد؟ لأنهم يعرفون أن الجهاد معناه أن يجاهدهم الناس، هو متأكد من هذا؛ ولهذا يحاولون أن يعمموا داخل وسائل الإعلام في كل البلدان، محاولة أن يكون هناك توجيهات أخرى: وسطية، ولا تشدد، وأشياء من هذه، عارفون أنهم هم المفسدون، الأحكام تُقام عليهم، والجهاد يعني: جهادهم، إقامة الحدود تعني: إقامتها عليهم.

فلا يحزنك هؤلاء ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يقول البعض: (إننا إذا حاولنا أن نُقيم الحدود فهذا قد يؤدي إلى أن الطرف الفلاني لا يرتاح فيؤدي إلى أن يضر بالمصلحة الوطنية) أو عناوين من هذه، لا تحسب لهم حساباً، لا أناس من داخل ولا من خارج، فلا يحزنك أمرهم ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ لأن هاتين الفئتين ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَومٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾(المائدة:٤١) معهم آخرون هم ينطلقون بتوجيهاتهم، فلا يحزنك أمرهم بأن تَعتبِرهم وكأنهم من صفك، وكأنك تريد أن تسترضيهم بشيء مُعيَّن، اعرف من البداية أنهم مرتبطون بآخرين لم يأتوك ﴿وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾(البقرة:١٤) كما يقول في آية أخرى.

ودائماً عندما يأتي الحديث عن بني إسرائيل بعد أشياء كثيرة سواءً ما كانت بشكل تشريعات مُعيَّنة، أو تبيين إلهي، هدى إلهي، يأتي بحديث عن بني إسرائيل؛ لأنه فعلاً قدَّمهم في البداية أنهم يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، وتراهم هكذا تصرفاتهم بالمقلوب أمام كل قضية، حتى هنا في موضوع إقامة حدود الله، إقامة شرع الله، ألم يأتِ بالحديث فيما بعد عنهم؟ بشكل يوحي وكأن هؤلاء هم من سيحاولون أن يعملوا على ألاّ تقام حدود الله، فيأتي بالحديث عنهم وبشكل ألاّ تحسب لهم حساباً ﴿لاَ يَحْزُنكَ﴾.

ثم تجد أنهم عندما ينطلقون بحملات دعائية، وقد يعملون ضغوطات مُعيَّنة في محاولة ألاّ تقام كثير من حدود الله وأحكام دينه، هل على أساس أن لديهم رؤية هم: رؤية هي أفضل، أو رؤية مساوية، أو منطلقون حتى انطلاق، منطلقون من نظرة تعني: نظرة إصلاح بما تعنيه الكلمة إنما هم يغلطون؟ لا. هم في واقعهم شريرون، في واقعهم منزوون على أنفسهم، يقيسون الأشياء بمقياس مصالحهم، لا يهمهم باقي البشر، لا يهمهم الإصلاح في الأرض على الإطلاق.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَومٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوهُ فَاحْذَرُوا﴾ هنا يعرض منطلقاتهم، وأهدافهم، وما يأخذون ويردون فيه، هل هو شيء يتناول مصلحة الناس؟ يهتم بمصلحة الناس؟ لا ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللّهُ

(١) يحتاجون شور وقول: من اللهجة العامية، أي: يرون أنه لا بُد أن يكون لهم رأي وكلمة نافذة.

﴿فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ هي قلوب فاسدة، قلوب خبيثة، القلوب الفاسدة الخبيثة لا يمكن أن تنظر للبشرية بنظرة رحمة ولا برعاية مصلحة للبشر على الإطلاق. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(المائدة:٤١) .

وكما هي نفس الطريقة لا تكترث بهؤلاء، ولا تقل أيضاً - ربما - أن لديهم نظرة، هذا الذي يحصل الآن للأسف، يحاولون أن يسكتوا عن حدود الله هنا في الدول العربية، في كثير من الدول الإسلامية يسكتون هناك، يوقفونها، ويستصدرون قوانين وبنظرة وكأنهم هم لديهم خبرة، لديهم رؤية، ولديهم، ولديهم... وفي نفس الوقت خائفين منهم، ألم يقفل الموضوع هنا تماماً؟ يُبيِّن لك أن هؤلاء في واقعهم عندما تراهم معارضين فليسوا منطلقين من رؤية صحيحة، ولا منطلقين من رؤية إيجابية للبشر أبداً، هكذا هم أناس نفوسهم خبيثة، قلوبهم نجسة، ولا تَخَفْ جانبهم أبداً؛ لأن الله قد حكى بأنهم أعداء له، ولا يكون أعداؤه هناك وهو ساكت عنهم! هذه لا تحصل، الله لا يسكت عن أعدائه على الإطلاق، يكون لديه أعداء إنما منتظر لا يدري متى سيضربهم، هو دائماً يدبِّر أشياء كثيرة إنما لا نعرف نحن، كثير من الأشياء التي تكون ضراً عليهم ونراها وكأنها نعمة وخير وأشياء من هذه بالنسبة لهم.

فيقول هنا لا تخف جانبهم، ونحن بحاجة إلى هذا أمَّا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فهو لا يخاف جانبهم، هم ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ألم يعرض هنا رؤية صحيحة؟ فعلاً إن هذه ظهرت حتى أصبح البعض يُقدِّم رؤية الغرب ورؤية اليهود والنصارى - مقابل ما شرَّعه الله من إقامة حدود وقصاص - بأنها رؤية إيجابية ورؤية صحيحة ورؤية منسجمة مع حقوق إنسان وأشياء من هذه، أي: ينظرون إليهم عندما يقدِّمون قوانين وكأنهم ساهرون على مصلحة البشر، عندما ينظِّرون ويقدِّمون رؤى وكأنهم أصحاب نفوس طاهرة، أليسوا ينظرون إليهم هكذا؟ إضافة إلى خوف منهم. هنا نسَفها، هؤلاء لا نفوس طاهرة، لا يهتمون بمصلحة البشر، ولا تخف جانبهم فالله قد قضى بأن يكون لهم خزي في الدنيا، وفي الآخرة عذاب عظيم.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾(المائدة:٤٢) فهل هؤلاء ممكن أن يقيموا حدود الله، أو يحرصوا على أن تُقام عقوبات للمفسدين وهم أنفسهم ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ للحرام؟ إذاً بيَّن لك واقعهم أنهم عندما يحاربون إقامة مثل هذه الحدود إنما لأجل ألاّ تُقام على أمثالهم، وعلى أوليائهم وأصدقائهم، لماذا؟ لأنهم أكالون للسحت، والسحت مختلف، السحت قليلاً أو كثيراً ﴿أَكَّالُونَ﴾ هم لا يأكلون أحياناً فقط، بل طريقتهم يبحثون عن السحت ويأكلونه، أي: لا يراعون أيَّ شيء، يقولون: (الحلال ما حل في الجيب) حراماً أو حلالاً كيفما كان.

﴿فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَينَهُم أَو أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَينَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(المائدة:٤٢) قضية متروكة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فيما بينهم؛ لأن هذه القضية منذ زمن عُرِفت عند بني إسرائيل، في موضوع الحدود، خففوها، وعملوا لها أشياء أخرى، منذ زمن؛ لأنهم عارفون أنفسهم أنهم مفسدون وأكالون للسحت، يحاولون في كثير من الحدود بأن تلغى أو تخفف، أو تأتي أشياء أخرى بديلاً عنها.

عندما يحصل من بعضهم على بعض جريمة مثلاً، فهنا سيتبين إيجابية الحكم الإسلامي، والحكم في أصل كتبهم التي أنزلها الله، فقد يرى بأنه: ألاّ يجري فيما بينهم هناك عندما قال: ﴿فَاحْكُم بَينَهُم أَو أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لأنه لاحِظ الآن الأشخاص الذين يحاولون مثلاً أن يروجوا - كمثل بعض المثقفين - بألاّ يكون هناك حدود وأشياء من هذه، لو أن أحداً يسرق سيارته ماذا سيقول؟ ليس فقط تقطع يده، بل سيقول: هذا يستحق أن يُحرَق، وليس فقط أن تُقطَع يده أو يُنفَى من الأرض، أليس هو هنا يُحس بالألم؟ تقول له: (لا، لا، هذه عقوبة متنافية مع حقوق الإنسان أو مع الحضارة) وأشياء من هذه، لا يقبل منك هذه، وقد كان يقولها؛ لأنه أحس هو بالألم.

﴿فَاحْكُم بَينَهُم أَو أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَينَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّونَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾(المائدة:٤٢، ٤٣) مع أن هذا قد لا يحصل، أو من الغريب، وهو غريب باعتبار أن في التوراة حكم الله فعلاً فيما يتعلق بنفوس وأموال سيأتي بعدُ حول القصاص أيضاً: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَينَ بِالْعَينِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ...﴾(المائدة:٤٥) إلى آخر الآية، لكن عندما تكون القضايا قد بُدلت، ثم يصيح الطرف المعتدى عليه، وهو يعرف الإسلام في حدوده، في أحكامه، يحاول في الطرف الآخر، مع أن هذا قد يكون من قبل ليس حول أحكام الله، ولا حول أن يلتزم بما في كتاب الله إذا كان لا يزال موجوداً، إذا لم يكونوا قد

ضيعوا ما في كتاب الله، التوراة عندهم بأنها ماذا؟ أحكام قائمة، بمعنى أنهم قد لا يحكمونك؛ لأنهم هم رافضون لحكم التوراة التي نزلت على نبي منهم، وعليهم موجهة إليهم. فهل سيكون لديهم رغبة أن يأتوا يبحثون عن حكم القرآن؟ لكن قد يحصل فعلاً عندما يكون طرف منهم، مثل هذا يأتي عليه جريمة مُعيَّنة، وعقوبتها بشكل لم يعد يشفي غليله، لا يعتبرها بأنها فعلاً كفاية، يحاول أن يرجع إلى حكم الإسلام من أجل إيقاع الحد على هذا الذي ظلمه؛ ولهذا تلاحظ فعلاً بأنهم يرجعون إلى حكم الله يبحثون عنه، ألم يرجع (صدام) إلى حكم الله، رجع إلى إعلان جهاد؟ هم يرجعون في الأخير.

﴿وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ وفعلاً على ما قلنا سابقاً لو يأتي شخص مثلاً يحاول كمثقف يحمل ثقافة الغرب، ويُقدِّم منطقاً كهذا حول عقوبة الإعدام، وإقامة حدود وأشياء من هذه، وتقع عليه قضية في قريبه، أو قضية في ماله لبحث عمَّا هو الحكم؟ (يقطعونه من النصف وليس أن يقطعوا يده فقط) الآن ألست تراهم يحاولون عندما تأتي أمريكا لتدخل، ويحس بخطورة فعلاً تريد أمريكا أن تنفيه من الأرض، سيرجع في ذلك الوقت إلى آيات الجهاد، ويبحث إذا كان هناك (مُكبِّرين) ويبحث إذا كان هناك أحد يتكلم على أمريكا، وجهاد، و(الله أكبر) يكتبها في العَلَم، وأشياء من هذه؟

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ليسوا بمؤمنين حتى ولو رجعوا، أي: لو رجعوا عند حادثة مُعيَّنة، في قضية مُعيَّنة فهو رجوع من هذا المنطلَق. قالوا هذه وقعت كمثال فيما يتعلق بالمرأة أنه في (مصر) كان هناك شخص يروِّج فيما يتعلق بحرية المرأة، وخروج المرأة، وليس هناك مانع من أن تصافح الرجل وتجلس معه ويخرجوا سوياً، فقالوا إن شخصاً ذهب وطرق باب ذلك الشخص وقال له: (أريد أن أصافح زوجتك وأتكلم معها) فغضب هذا الرجل، فقال: (لماذا تغضب؟ ألست تقول هكذا، حرية المرأة، وخروج المرأة، وعدم الحجاب للمرأة، وهذه حقوق المرأة، وليس هناك مانع)؟!

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّورَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيهِ شُهَدَاءَ﴾(المائدة:٤٤) وهذه هي سُنة الله سبحانه وتعالى، أن كتبه تكون هدى ونوراً، وتتناول التشريع، ما يتعلق بحياة الناس، والتعامل فيما بينهم، عقوبات على الجرائم، لتبقى الحياة آمنة، مكافحة للجريمة. وأنها تأتي على هذا النحو؛ ليقوم حكم الله عليها، ويُقيم حكم الله بها كل الفئات النبيون والربانيون والأحبار.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّورَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ ولن يحكم بحكم الله ولا يهتدي بهدي الله إلاّ المسلمون لله، ألم يذكر ﴿النَّبِيُّونَ﴾؟ لأنهم مسلمون لله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيهِ شُهَدَاءَ﴾ أي: هي مسؤولية منوطة بهم، أي: هم مُحمَّلون بها، أن يحكموا بحكم الله.

﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَونِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(المائدة:٤٤) عندما تكون مرفقة بتوجيهات على هذا النحو، وأُمِروا بأن يحكموا بها، وألاّ يخشوا الناس، وأن يخشوه، وألاّ يشتروا بآياته ثمناً قليلاً، وأن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، أي: هذه قضية في موضوع التوراة، وسيأتي في موضوع الإنجيل بما يشابهها.

وهذه كما أوردها الإمام زيد عليه السلام في رسالته إلى العلماء يقول: إن العلماء لا مبرر لهم على الإطلاق، ولا عذر لهم عن أن يُبيِّنوا للناس كتاب الله، ويتحركوا على هذا النحو لإقامة دين الله، هذا معنى كلامه؛ لأن الله قال هنا: ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَونِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ أنه لا يجوز أن يُقعِدهم لا رغبة ولا رهبة من أيِّ طرف آخر ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَونِ﴾ أليس هذا خوفاً؟ ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ هذا استبدال ماذا يعني؟ يعني رغبة، يحصل على أشياء. ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لاحِظ هذا فيما يتعلق بإقامة القسط والله قال سابقاً: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾(المائدة:٨) وفي آية سابقة قبلها: ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّهِ﴾(النساء:١٣٥).

فإقامة القسط على هذا النحو، إقامة بكل ما تعنيه الكلمة، حكْم بالشيء (إقامته) وليس مجرد فتاوى. هنا يقول: ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أن يحكم بغير ما أنزل الله، وأن القضية هنا أن ما أنزله الله هو لأن يُحكَم به، والحكم به يعني: ماذا؟ يعني فاعليته، وإقامته. هو فعلاً منطق الآية نفسه، يشهد ما حكاه الله عن بني إسرائيل، وتشمل أيضاً - كما قال الإمام زيد في معنى كلامه لا أذكره بالتحديد - أن الله قدَّم بني إسرائيل كنموذج تأخذ هذه الأمة دروساً منها، مما حصل لبني إسرائيل.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَينَ بِالْعَينِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(المائدة:٤٥) فهم عندما يتجهون لمحاولة إلغاء الحدود، القصاص، معناه: هم في نفس الوقت يحاربون ما هو في كتبهم، وما أنزل الله عليهم وأمرهم أن يحكموا به.

﴿وَقَفَّينَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّورَاةِ وَآتَينَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّورَاةِ وَهُدًى وَمَوعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(المائدة:٤٦، ٤٧) كأن معنى الآية أنه: قفينا وعملنا هكذا، وقلنا: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ﴾ أي: هذه سُنة إلهية، وأنه عندما يأتي بهدى، يأتي بتشريع، يكون مرفقاً؛ لأنه ليست سُنته عبارة عن فتاوى، يرفق بالتأكيد على الحكم به، على إقامته، على الالتزام به، على الجهاد في سبيله.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ فَاحْكُم بَينَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(المائدة:٤٨) أي: وأنت عندما تُقيم حكم الله فليست قضية جديدة، الله هكذا سُنة في دينه: أنه يجعل للأمم لكل أمة شِرعة ومنهاجاً في إطار دينه، في إطار حركة دينه، الدِّين الواحد؛ ولهذا يقرر من البداية أنه قال لهم في موضوع القصاص: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(المائدة:٣٢) أليست هذه واحدة؟ موضوع هذه الأشياء الأخرى: القصاص سواءً النفس بالنفس والعين بالعين...إلخ، التأكيد بأن يقيموا حكم الله، أن سُنة الله هكذا، أي: لستَ ستأتي بشيء يبدو وكأنه جديد، أن تكون هناك شِرعة تمت على يدك يُقال لك أن تحكم بها وأن تقيمها، الله قد جعل في مسيرة الدِّين لكل الأمم شرعة ومنهاجاً، أي: ليست الآية هنا تعني: تقسيم أشياء، أو تقسيم ديانات ثلاث، وهناك يقول: ﴿فَاحْكُم بَينَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ هل كان رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يرجع إلى التوراة أو إلى الإنجيل؟ لم يُعرَف عنه على الإطلاق أنه ربما اطَّلع عليها، أو لمسها، أو دخل بيتاً هي فيه – مثلما يسمونها – بيوتاً: مدارسهم، أو أشياء من هذه.

أمامه القرآن، القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ فالذي هو صحيح هو هنا، فأن يَحكُم به، أي: أنت تُقيم شِرعة ومنهاجاً هي ليست جديدة، ليست غريبة، حتى عندما يأتي أحد من بني إسرائيل ولديهم أشياء أخرى كما هو الواقع، تبديل لأحكام الله، أو يستنكرونه، لا قبول لاستنكارهم، هم يعرفون بأنه في كل مسيرة الدِّين لكل الأمم شِرعة ومنهاجاً، وأن هذه هي القضية التي هي ماذا؟ قابلة – باعتبار العصور – أن يكون فيها أحكام ليست في الأمة السابقة، أن يأتي مثلاً في رسالة عيسى (عليه السلام) أحكام جديدة بالنسبة لِمَا كان في رسالة موسى (عليه السلام) أن يأتي في رسالة محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أحكام جديدة بالنسبة لِمَا كان في رسالة عيسى (عليه السلام) هكذا في هذا الجانب؛ لأنه دين واحد، مسيرة واحدة، ولا يمكن أن نفهم هذه القضية إلاّ على أساس فهمنا للدِّين بشكل عام، لا تفهم الدِّين وكأنه الفقه هذه الرؤية الفقهية التي أمام الناس ويسمونها ديناً، ويسمونها شرع الله، وحكم الله، ودين الله، وهدى الله، هذه تُعتبَر شِرعة في إطار حركة الدِّين الإلهي.

إذا كنتَ تراها في الكتاب العظيم هنا فيما تناولها بصورة صريحة، قد تكون – كما يقولون – خمسمائة آية، من أكثر من ستة آلاف آية، أليست هنا شِرعة؟ أشبه شيء بشرعة النهر، أليست الشرعة جانباً مفتوحاً من النهر يغترفون منها؟ جانباً مُعيَّناً مفتوحاً للأمم، حتى لا يزال بالنسبة للمسلمين وفي حركة الحياة يأتي التشريع بشكل يراعي اعتبارات متعددة، يراعي أزمنة متعددة، ليس على أساس تأقلم معها، في كيف إنزاله عليها، هذه هي شرعة، هذه الشرعة التي هي ماذا؟ شِرعة ومنهاج حياة، في التعامل، في الآداب، في أشياء من هذه قائمة بين الناس، الله جعل لكل منكم شرعة ومنهاجاً، ولو أراد الله لجعل الناس أمة واحدة، على طريقة واحدة في مسيرة حياتهم، في المجال التشريعي، يكون ما حرَّم على إبراهيم حراماً إلى الآن، حرام وحلال من ذلك اليوم إلى آخر أيام الدنيا على نمط واحد.

هو يستطيع أن يجعل هذه، بمعنى ماذا؟ بمعنى أن تكون القضية على هذا النحو: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ألم يقل هكذا بعد؟ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ لأن الله هو الذي يعلم بمصالح عباده، هو الذي يعلم بالحياة ويعلم بهذا الزمن، فيجعل تشريعه بالشكل الذي فعلاً يكون قابلاً لإقامة القسط في مختلف تعامل الناس، وفي آدابهم على طول الحياة، دون أن يكون معناه أنه فرضية من جانب الإنسان، ليست فرضية من جانب الإنسان نفسه، هذه رحمة من جهة الله أن يجعله على هذا النحو، وبالشكل الذي يكون طريقة

واحدة، لا يحصل فيها اختلاف، بل طريقة واحدة. لكن لاحِظ الشرعة السابقة في أيام عيسى عليه السلام هي شِرعة إلى أن يأتي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يجب أن تسير الحياة على الشرعة التي فتِحت في مسيرة الدِّين أثناء رسالة محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى آخر أيام الحياة.

أي: لا تكترث بهم عندما ينقدون موضوعاً، مثلما هو حاصل الآن، أليسوا الآن هم الذين ينقدوننا دائماً في موضوع الحدود، في موضوع كثير من التشريعات، من المواريث، إلى الحدود، إلى القصاص، إلى أشياء كثيرة ينقدونها؟ فلماذا؟ يُقال لهم: الله قد جعل لكم شِرعة ومنهاجاً قبلنا في أيام عيسى عليه السلام وشرعة ومنهاجاً في أيام مَن قبله من الأنبياء، وشرعة ومنهاجاً في أيام موسى عليه السلام في مسيرة الدِّين الإلهي، أي: هل هذه هي قضية غريبة؟ ليست قضية غريبة؛ ولهذا برهن هنا، ألم يذكر ما جعل من شرعة في داخل هذا الدِّين، في رسالة موسى، ورسالة عيسى؟ يذكر عن التوراة، ويذكر عن الإنجيل، أي: هذه توحي بأنهم فعلاً هم من يعارضون، وهم من يلونون الأحكام، ويلعبون بالأحكام، ويهاجمون بالتشنيع لأحكام أخرى.

إذاً مِن الأشياء الهامة أن نفهم – كما ذكرنا في الآية السابقة – أنهم عندما يكونون على هذا النحو إنما هو تلاعب من جهتهم، ناس خبثاء، هم يخرجون منذ زمن عن الشرعة التي جعلها الله لهم، وفي نفس الوقت هم يعرفون، وليس المعنى أنها قضية غريبة في ديننا يقولون لماذا في دينكم كذا؟ في دين الله، في شريعة الله في رسالاته، عند الرسل: موسى وعيسى وكل رسله، أي: هذه تُعتبَر منهجاً في الرد عليهم، في الحوار معهم، حوار أو رد أو كيفما كان الموضوع، بأنه يجب أن تقررهم؛ ليتبين في الأخير أنهم هم الشاذون في مسيرة الدِّين هم وليس نحن، وليس ما في شرعتنا نحن، بل هم الشاذون، هل هو جديد أن يكون هناك شِرعة ومنهاج في هذه الرسالة؟ ليس جديداً، يُقال لهم: ليس جديداً أنتم حصل لكم هكذا، فلماذا تستنكرون؟ هذا الموضوع جاء نظيره في أشياء أخرى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِن الرُّسُلِ﴾(الأحقاف:٩) فهذه الشرعة ليست بدعة من ماذا؟ من شِرَع الله في مسيرة الحياة، ومسيرة دينه الواحد.

﴿وَلَو شَاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(المائدة:٤٨) في مسيرة البشر: طريقة واحدة، لكن هو يعلم فهو رحيم، هو يعلم بمسيرة الحياة قد يكون مثلاً شرَّع سابقاً أشياء – وكما قال سابقاً – فيها ماذا؟ نوع من العقوبات، أشياء كثيرة فيأتي دينه فيه شِرَع على هذا النحو، شِرَع لكل زمان، لكل رسالة أشياء مُعيَّنة، ألم يقل نبي الله عيسى وهو يخاطب بني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيكُمْ﴾(آل عمران:٥٠)؟ هذا جانب من الشرعة، تَفهم حركة الدِّين، هذه شرعة من النهر، من البحر الإلهي (الدِّين) لا تفهم الدِّين موضوع (شِرعة) شرعة اعتبرها فتحة في دين الله، مثلما ترى خمسمائة آية من ستة آلاف وزيادة من الآيات، ألست هنا تراها فتحة فيما يتعلق بالتشريع، تكون آداباً وتعاملاً فيما بين الناس؟

﴿وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم﴾(المائدة:٤٨) فيتبين بلاءه لديكم، مثلما قال في بني إسرائيل، ألم يقل: ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاَءٌ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾؟ ﴿وَإِذْ نَجَّينَاكُم مِنْ آلِ فِرْعَونَ﴾ ثم قال بعد: ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاَءٌ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(البقرة:٤٩) ليس الابتلاء يعني مصائب، مصيبة، مصيبة...إلخ، بل يكون أحياناً بمعنى نعمة يبلوكم بها، بمعنى يتبين عملكم فيها، ويَتبيَّن تعاملكم معها، فهي نعمة وفي نفس الوقت محط ابتلاء لكم يَتبيَّن من هو الذي يعطي قيمة لهدى الله، ويسير على نهجه ويتمسك؟ ومن الذي يُعتبَر شاذاً في هذه الحياة؟ ومن هو المؤمن؟ ومن هو الفاسد؟ ومن هو المصلح؟...إلخ؟ إذاً فهذه تعطينا منهجاً في مواجهة الحملة الدعائية من بني إسرائيل ضد كثير من التشريعات في هذا الدِّين، نفس هذا الموضوع ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَو شَاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(المائدة:٤٨).

﴿وَأَنِ احْكُم بَينَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾(المائدة:٤٩) هم ليس لديهم إلاّ أهواء، ما بين أيديهم كتابات هي مليئة بالأهواء، أو مقترحات مِن عندهم عندما يقولون في شريعتنا كذا كذا، لا يُعتمد عليهم، لا يُعتمد على كتابات بين أيديهم، ولا يُعتمد عليهم عندما يقولون؛ لأنها أشياء قد أصبحت ماذا؟ قد طغى عليها موضوع الهوى والتلاعب والتحريف والتضليل.

﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيكَ﴾(المائدة:٤٩) يقولون لماذا؟ كيف هذا؟ في شريعتنا كذا كذا. أو يحاولون أن يقدِّموا له كتاباً مُعيَّناً يقولون هذا. لا تركن على هذه كلها فقد صارت محط أهواء وتلاعب ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيكَ﴾ أليسوا الآن يفتنون الأمة عن كثير مما أنزل الله إليها؟ ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَاعْلَمْ

﴿أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾(المائدة:٤٩) تولوا، لا تكترث بهم، لا تبال بهم فتقعد عن أن تحكم بحكم الله وبما أنزل الله إليك، اعرف أن من يتولون هم سقطوا في مستنقع، وأصبحوا ضعافاً، محطاً لعقوبة إلهية عليهم. هذا الموضوع تراه هاماً جداً في القرآن، ترى غيابه في الذهنية كارثة، مَثلَ للأمة كارثة الآن، أن تفهم كيف يصنف لك العدو على أساس لا تكترث به، لا تكترث به دائماً دائماً، أمام مختلف القضايا، ودائماً يُقدِّم بني إسرائيل في الصورة بشكل واسع، قدَّمهم أمامنا في كل مجال، أمام الجهاد، أمام مختلف توجيهات الله، أمام تشريعات الله، أمام كل شيء، حتى أمام تحويل القبلة، ألم يُقدِّمهم في كل شيء؟

﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَونِ﴾(المائدة:٤٤) هناك في موضوع القبلة؛ لأن هذه القضية هامة جداً، لا يجعلك تتراجع عن أن تُقيم حكم الله إلاّ إذا كنتَ تكترث بالعدو، أليس هذا الذي هو حاصل الآن عند العرب؟ فلهذا كان هذا الموضوع هنا هاماً جداً (التركيز عليه) كلما يذكرهم أو يذكر آخرين (منافقين أو كافرين) يُبيِّن لك كيف هم، أنهم سيُضرَبون وهم في أضعف وضعية هم، لا تكترث بهم؛ لأنك إذا اكترثت فستتأقلم معهم وتحاول أن تغير حكم الله، وأشياء من هذه مثلما هو حاصل الآن عند العرب ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾(المائدة:٤٩) هنا قد تقول: (لكن هم كثير، وسنحتاج إلى أن نبحث كيف، ونحن لسنا إلاّ قليلاً) هم هكذا: كثير من الناس فاسقون.

ثم يتناول بالتبكيت لهم والسخرية منهم: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾(المائدة:٥٠) ما أنزلناه إليك هو حكم الله، ألم يقل هناك: ﴿وَأَنِ احْكُم بَينَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾(المائدة:٤٩)؟ لم يعد هناك ما يقابل ما أنزل الله إلاّ ماذا؟ حكم الجاهلية، جاهلية، سواءً جاهلية من داخل جاهلية شرك، أو جاهلية (يهوده ونصرنه) هم حوَّلوا الدِّين إلى جاهلية فعلاً. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَومٍ يُوقِنُونَ﴾(المائدة:٥٠) لأن الله هو مَلِك الناس، وهو الذي يعلم بالإنسان، ويعلم بهذه الحياة فحكمه هو الحكم الذي هو أحسن حكم.

عندما نرجع إلى الآيات السابقة ألم تتناول مواضيع متعددة وداخلها يُبرِز بني إسرائيل وهم يريدون أن يلعبوا في كل موضوع؟ تناول مواضيع متعددة: موضوع جهاد، إقامة القسط بكل ما تعنيه القضية بما فيها هذه القضايا التشريعية إلى عند الحدود، وتراهم فعلاً في كل مجال هم يحاولون أن يصدوا عن سبيل الله فيه ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(آل عمران:٩٩) في كل نقطة إلى عند ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾(المائدة:٣٨) قد صار سارقاً ومع هذا يَبرزون مدافعين عنه، قاتل مجرم يَبرزون مدافعين عنه! أليس هذا الذي حصل؟

يأتي بعد تحذير للناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَولِيَاءَ﴾(المائدة:٥١) انظرْ ما أفظع الناس عندما يتجهون ليتخذوهم أولياء بعد هذه الصورة السوداء التي قُدِّمت لهم، والتي لا تختص بمجال دون مجال، بل في كل شيء، يلعبون في كل شيء، وأينما كانت سبيل الله يبغونها عوجاً، أينما هو صلاح في الأرض يبغونه فساداً، وبعد أن بَيَّن أيضاً بأنهم تحت مراقبته وغضبه وسخطه، لا تكترث بهم، سواءً كانوا قليلاً أو كثيراً، سواءً كانوا أقوياءً أو ضعافاً، لا تكترث بهم، هم في وضعية ضعف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَولِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَولِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾(المائدة:٥١) فيجب أن تكونوا بعيدين عنهم؛ لأنك عندما تنظر إلى الصورة القاتمة عن اليهود، وتنظر إلى الصورة القاتمة عن النصارى تجد أنه إنما ينبغي لمثلهم أن يتولى بعضهم بعضاً، لماذا؟ لأنهم: تشابهت قلوبهم، أعمالهم، أهدافهم، نواياهم، نفوسهم، في معظم ما هو بينهم مشترك وإن كانوا متعادين؛ لهذا تجدهم أليسوا الآن ينسقون مع بعضهم بعض ويتحركون، إسرائيل مع أمريكا ومع دول أوروبا؟ يجب أن تكونوا - أنتم المؤمنين - بعضكم أولياء بعض، واليهود هم هكذا لا ينبغي أن تتولوهم، إنما يتولاهم من هو مثلهم إمَّا يهود ليهود، أو نصارى لنصارى، أو نصارى ليهود، أو كيفما كانوا.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ثم انظر إليهم في الصورة التي قَدَّمها كيف هي؟ أليست صورة فظيعة؟ ﴿إِنَّ اللّه لاَ يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ﴾(المائدة:٥١) ثم تراهم في الأخير قدَّمهم ظالمين لعباد الله، ظالمين للبشرية، ظالمين لأنفسهم وللبشر، مَن يتولَّهم يُصبح شريكاً في ظلمهم، يُصبح ظالماً مع الظالمين ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ﴾.

عندما تتولاهم لأيِّ اعتبارات، لمصلحة مُعيَّنة، أو خوف، أو كيفما كان، فلن تهتدي إلى ما تريد من وراء توليك لهم، هذه القضية هامة، يبدو فعلاً أن الله لا يسمح أن يحصل، عندما تتولاهم من أجل مناصب، أو من أجل مال، أو من أجل أن تأمن، أو أشياء من هذه، فلا يتحقق هذا، لا يتحقق، إذا تحقق لك في مرحلة لتتمكن فيها،

لتُضْرَب في الوقت الحرج وفي أشد مرحلة يكون وقْع الضربة عليك فيها، أيهما أفضل لك: أن تُضرَب وأنت فقير، وقع الضرب عليك في نفسك وأنت فقير لديك غرفتان، أو وأنت صاحب ممتلكات وبنايات فخمة؟ أليست الضربة هنا ستكون أشد على نفسك؟ الله يعتبرها عذاباً - كما قال في آية أخرى - الله سبحانه وتعالى هو حكيم، ولا يمكن لأحد أن يكون ذكياً أمامه على الإطلاق كما نكرر دائماً، عندما يظن أحد أنه سيحاول أن يتولاهم من أجل، ومن أجل، ومن أجل، فهنا يقطع الطريق، لن يتحقق، ولو تحقق في الصورة إنما ليكون عذاباً لك في الوقت الذي يُعتبَر أشد نكاية عليك.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾(المائدة:٥٢) وهذا من الأشياء المؤسفة جداً أنه بعد هذا البيان العظيم، وهذا الكتاب العظيم، وبعد ما أعطى من صورة واضحة، قدَّم صورة واضحة جداً عن بني إسرائيل ويكون لا يزال هناك أناس يريدون أن يتولوهم! هم بالطبع ليسوا طبيعيين، أي: ليسوا سليمين، لن يتولاهم إلاّ أناس في قلوبهم مرض، ومعنى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾ لم ينطبع هذا الدِّين، هذا الهدى، وهذا الكتاب، وهذا النور، لم ينطبع عليها، لم تمتلئ نوراً، ولا اهتدت، قلوب مريضة، أمَّا قلوب مهتدية فلا يمكن أن تتولاهم على الإطلاق.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ مع أنهم بالشكل الذي يجب أن تُسارع في الابتعاد عنهم، وليس أن تسارع فيهم، أن تسارع في الابتعاد عنهم؛ لأنهم هكذا قدَّمهم بشكل فظيع جداً في: نفوسهم، أهدافهم، تفكيرهم، نواياهم، أعمالهم كلها. ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾ وكلمة ﴿مَرَضٌ﴾ واسعة المعنى، أهم شيء فيها قلوب لم ينطبع فيها هدى الله، ولم تستنر بنور الله، ولم تستبصر ببصائر الله، هي قلوب مريضة، فليكن فيما بعد يظهر إمَّا بشكل نفاق، أو بشكل جُبْن، أو بشكل بحث عن مصالح، أو بشكل مزايدات حزبية - كما يسمونها - أو كيفما كانت، المهم أن هناك مرضاً، أمَّا أناس سليمون فلا يتولونهم على الإطلاق، بل يبتعدون عنهم. إذاً فمعناه مريض يتولى مرضى، ألم يُقدِّم بني إسرائيل مرضى؟

﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ يسارع فيهم، كقولك: في الله، أشبه شيء بقولك: يعمل في الله، أو يحب في الله. يسارع فيهم: يحاول في الشيء الذي فيه ماذا؟ فيه استرضاء لهم، أو الشيء الذي ربما يَظهر لهم منه فيعتبرون أنه قدَّم خدمة لهم فيأمن شرهم، أو كيفما كان، المهم مسارعة إليهم بالشكل الذي يريدون، أنت عندما يقال لك: أنت تحب في الله، أي: أنت تحب إنساناً الحب الذي يريد الله منك أن يكون قائماً بينك وبينه، فهم مسارعون بالشكل الذي يريد بنو إسرائيل، يسارعون فيهم، أي: يسارعون إليهم بالشكل الذي يريدونه هم، وإذا لم يكن لديه معرفة أنهم يريدون فالقلوب المريضة هي تتشابه ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(البقرة:١١٨) ألم يقل هكذا؟ ثم لا تدري في الأخير وإذا أهدافك أهداف السفير الأمريكي تماماً ولست تدري، إذا لم تنتبه!

لأن هذا الهدى هو قُدِّم بالشكل الذي يجعل قلوب الناس مستنيرة وسليمة، القلوب المستنيرة المهتدية السليمة المستبصرة لا يمكن على الإطلاق أن تكون متشابهة مع القلوب المريضة، لكن القلوب المريضة يمكن أن تتشابه مع بعض ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ذلك مِن هناك يحاول أن يُسكت الناس بأيِّ طريقة حتى لا يرفعوا شعاراً في المسجد، وهذا الذي داخل المسجد إذا به مثله محاول أن يسكتوا ويتوقفوا! ألم يبرز في الشاشة وإذا هم ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؟ ذلك مريض من النوعية التي قال: ﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيهَا﴾(النساء:١٥٥) ونفوس خبيثة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾(المائدة:٤١) وأنت لأن قلبك مريض - أي: من يكون على هذا النحو قلبه مريض - أصبح عملك عمله ومشابهاً له، وبالطبع لا يتحرك هؤلاء الذين يعارضون إلاّ وقد صاروا عارفين أن أمريكا متحركة؛ ولهذا يكون معظمهم خائفاً، لو نقول - مثلاً -: (الموت لهولندا) هل أحد سيصيح في المسجد؟ لا، لن يعارضنا أحد، لو تقول: (الموت للعرب) أو تلعن العرب، هل سيعارضك أحد من هذه النوعية؟

إذاً فيها خوف، إمَّا خوف، أو رغبة، المهم مرض، وهو يعرف في نفس الوقت أنك تقول: أمريكا، وهو يعرف أن أمريكا هي تتحرك وأن أمريكا أصبحت مهيمنة، وأن أمريكا بالشكل الذي يخاف منها، أو يرغب إليها، كيفما كان الأمر، قل: (الموت للسويد) لن يستثار، ولن يقول لماذا؟ ولن يرفع بك بلاغاً إلى أيِّ جهة نهائياً، ولن يبادر الأمن السياسي إلى إلقاء القبض عليك، تقول: (الموت للعرب) تقول: (الموت لليمن) لن يغضب أحد عليك، إذاً فهذا معناه ماذا؟ أنه فعلاً مرض، هناك مرض، المرض نحن نقول فيه، على أساس نحاول أنه مثلما قالوا نتأول مهما أمكن للموضوع إلاّ أن المرض بالطبع مرض واسع جداً، فليكن جهلاً بدين الله، جهلاً بأعداء الله، جهلاً بما ينبغي أن يكون عليه باعتباره مسلماً، وهذا مرض، أليس مرضاً؟ لكن نحن نُعتبَر لا بأس إذا تأولنا لك

مرضك بالمرض الذي تذهب لتتعالج منه وممكن أن تُشفى، فقد يكون جهلاً، وقد يكون غير فاهم، وقد يكون، وقد يكون، وإلاّ فهو فاهم أن أمريكا موجودة، وأن هذا الشيء يُغضِب أمريكا.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾ لم يقل مثلاً: المواطنين الذين في قلوبهم مرض، أو الحكام الذين في قلوبهم مرض؛ لأن مرض القلوب هذا يمكن أن يكون من عند الكبار إلى عند الصغير في أطرف قرية، أليس هذا الذي اتضح في مواقف الناس بشكل عام: حكاماً، مثقفين، علماء، مواطنين؟ أليس هذا الذي ظهر في موقف الناس منهم؟ أن كثيراً فعلاً لهم آراء أخرى: (لا أحد يعمل شيئاً، اسكتْ ولا تتكلم، ولا، ولا...إلخ) ومتى ما جاءت أشياء من عندهم تُبيِّن للناس أنهم هكذا يريدون أن يعملوا فلا ترى حالة غضب وسخط.

ألم يتحدَّثوا عن تغيير المناهج؟ تحدَّثوا عن إخفاء كثير من آيات القرآن؟ لأن الكثير من القلوب مريضة كيفما كان المرض، وعسى ألاّ يكون مرض كثير منها إلاّ ماذا؟ مجرد جهل، فيما لو تفهموا عسى أن يزول المرض؛ لأن القلوب المريضة فعلاً لا تُستثار، لا يغضب على أمريكا ولا يحاول أن يصرخ في وجه أمريكا مثلما يحاول أن يعارضك، عندما تُقدِّم له كتابات صحفية علنية وليس فقط احتمالات: أن السفير نفسه يضغط على الوزارة الفلانية لتغيير المناهج، وأن تغيير المناهج يعني أنه سيتم بنفس الطريقة التي حصلت في البلدان الأخرى التي غير فيها مناهج، أي: يتناول القرآن، يتناول ابنك، ابن الشخص الذي هو مريض، لم يكترثوا بها، هل غضبوا أو ضجوا أو شيء؟ أبداً.

بعضهم ما زال يعارض (الشعار) ولو أعطيته صورة من الخبر عن توجهات الأمريكيين، أليس هو يرى الأمريكيين في التلفزيون ماذا يعملون في العراق؟ يرى اليهود ماذا يعملون في فلسطين؟ يراهم ما عملوا في أفغانستان؟ وما زال مريضاً، متجهاً ضدك لئلا ترفع شعاراً، لا يتجه ضد هذا العدو بعد أن قد كُشف له أهدافه السيئة وأعماله السيئة ومقاصده السيئة التي لن يكون هو بمعزل عنها، أليس هذا مرضاً؟ هو مَرَض حقيقة ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَو أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾(المائدة:٥٢).

نخشى ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى﴾ قد يقولون فعلاً عندما يقولون هي في الواقع من جهة لو كانت حقيقية يقولها شخص وهو يخشى حقيقة فهو سخرية من أن يكون يخشى من غير الله، أو من قد يقولها شخص إنما هي مجرد زعم وإلاّ فهو في الواقع يرغب فيهم، كلمة ﴿يَقُولُونَ﴾ أحياناً تساوي كلمة: يزعمون، وأحياناً تأتي في سياق السخرية ﴿يَقُولُونَ﴾. المهم أنهم عندما يقولون: ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ هذا محط سخرية حتى وإن كانت حقيقة منك ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ الله يقول: ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَونِ﴾(المائدة:٤٤) هو يقول هكذا لعباده الأولين والآخرين، وداخل بني إسرائيل ألم يُقدِّم لنا أنه يقول لهم أيضاً: ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَونِ﴾؟

ودائماً يُقدِّم الله سبحانه وتعالى كل الفئات التي تنطلق باتجاه معاكس لهداه أو تصد عن دينه أو تعارضه خاسرة، هنا قدَّمهم خاسرين، عندما يقولون: ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ هذا وعد إلهي هنا في نفس الآية يُعتبَر وعداً إلهياً: ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَو أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ أسروا، والله هو المطّلع على الصدور لا يستطيع أحد أن يعرف، هو يعطينا أشياء. مَرَض وسيندم المرضى أليس معناه هكذا؟ وسيندم هؤلاء المرضى.

إذاً فالآية هذه نفسها فيها وعد إلهي ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ ويُفهم منها نفس الشيء الذي قلناه سابقاً يُفهم من الكثير من الآيات لا يُسمح أبداً لأيِّ طرف أن يتحقق هدفه على الإطلاق، الأطراف الذين يشترون بآياته ثمناً قليلاً ويسارعون في أعدائه لأنهم يخشون أو يرغبون أو كيفما كان سيتحول ندماً، ألم يقل هنا: سيندمون؟ ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَو أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ هذه عبارة ﴿أَو أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ﴾ هذه عبارة رهيبة ﴿بِالْفَتْحِ﴾ بالفتح الجملة واضحة ﴿أَو أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ﴾ يصيبهم بالذات المسارعين يَضرِبهم هو، يُضرَبوا هم سواءً بعد فتح أو قبل فتح عندما يقول: ﴿بِالْفَتْحِ أَو أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ﴾ أو قد يَضرِبهم على أيدي من هم مسارعون فيهم، فيكون مسارعاً إلى حتفه، أليس سيندم في الأخير؟ وعندما يُبيِّن لنا القضية إلى داخل النفوس؛ لأن الكثير ممن ينطلقون هذه المنطلقات فعلاً يرون أنفسهم وكأنهم حكماء بالمسارعة فيهم كأنها حكمة من أجل لا يصيبنا شيء، من أجل لا يلحقنا، من أجل أشياء كيفما كانت.

إذاً أليس هو هنا قد يبدو معجباً بنفسه وبرأيه ويَعتبِر نفسه حكيماً؟ ولا يدري بأن هذا ليس إلاّ مظهراً من مظاهر المرض، المرض هو الذي يُظهر هذه الأشياء، هنا يقول سيندمون ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

فعندما تأتي الآية من أولها ﴿لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَولِيَاءَ﴾(المائدة:٥١) بعد أن قدَّم قائمة، من أول القائمة إلى آخرها، ألم يُقدِّم على طول القائمة كيف أعمالهم في كل مجال؟ تُسارع فيهم في أيِّ مجال يعني ماذا؟ يعني متولياً، موضوع تشريع، موضوع ثقافة، موضوع سياسة، موضوع اقتصاد، موضوع هدى، موضوع دين، موضوع... كل شيء، قضية خطيرة على الإنسان، أي: يجب أن يكون على معرفة ببني إسرائيل ويعرف بأنه ماذا؟ قد يسارع فيهم ولو في شيء مُعيَّن يقول: (تمام، نحاول أن نؤقلم المنهج لأجلهم، لنسلَم شرهم) ألم يسارع فيهم هنا؟

عندما تصبح تعمل لهم فهذا تولٍّ، والتولي إنما نتيجته ماذا؟ أن الطرفين أو أفراداً أو فئات تتولى بعضها بعضاً لتتجه اتجاهاً عملياً، أليس كذلك؟ عندما تعمل لهم وإن كنت تقول: ﴿نَخْشَى﴾ أو تقول: من أجل مراعاة مصلحة أو، أو...إلخ، فهذا تولٍّ، خدمة، تُقدِّم خدمة لهم، ستحاول أن تُسكِت صوتاً، أليسوا يحاولون أن يسكتوا أصوات الأنبياء ولو بالقتل؟ تحاول أن تُسكِت صوتاً ضدهم بكل ما تعنيه الكلمة مضاداً وليس وهمياً، إذاً أنت تسارع فيهم، أنت تتولاهم، معناه أنك تتولاهم.

﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَو أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾(المائدة:٥٢، ٥٣)

يأتي في إطارها فضح لكثير ممن كنت تعتقد بأنهم مؤمنين أولياء وأنهم في هذه القضية لن يتراجعوا ولن يسكتوا ولن يتخلفوا، ثم لا تدري إلاّ وقد أصبحوا بارزين بشكل معادٍ، أو يأتي بعد فتح أو أمر من عنده، يتبيَّن، معنى هذا أنه يتبين أشياء كثيرة. تجد من كانوا يدَّعون أنهم منكم إمَّا وطنية أو قومية أو كيفما كان تُكشف الأمور، تُكشف وتُفضح ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا﴾ أليس معناها (شَرَقَتْ عليهم): أسفرت فافتضح كل شيء فحصلت ندامة؟ فُضِحوا هم إلى درجة أن يُفضح من كانوا غير مُتوقَعين.

وفعلاً رأينا هذا الشعار كم فضح لنا من أناس ما كان متوقعاً أن يكونوا إلى هذه الدرجة، وهو يعرف أن كل ما داخل هذا الشعار تكبير لله، وداخله موت لأمريكا، موت لإسرائيل، لعنة على اليهود، نصر للإسلام، هل في هذا مما يجعله يتحرك لإسكات الناس؟! ألم يكن من واجبه أن ينطلق؟ بل ترى البعض ينطلق ليعارض، ليُسكِت، حتى بعد أن ظهر أن السفير الأمريكي يَسجُن ويحاول أن يُسكِت بكل طريقة، قد اتضح لهم، أي: قد أصبح يعرف هذا أن عمله: هدفه أو الغاية منه سترضي السفير الأمريكي وما زال يواصل.

بعض الأشياء لا نستطيع – نحن قلنا أيضاً في درس سابق: يبدو أنه قد يكون هناك فضح – لا تستطيع أن تُقدِّم له أمثلة، لكن مع المسيرة قد يَتبيَّن أشياء كثيرة، يتجلى من كانوا يتشدقون بالوطنية أنهم غير وطنيين، يتجلى من كانوا يدَّعون أنهم محافظون على مصلحة الأمة أنهم فعلاً غير مبالين بالأمة وهكذا، يتجلى من كانوا يَعتبِرون أنفسهم علماء أو عُبَّاداً، يَعتبِرون أنفسهم قمة المؤمنين أو خلّص المؤمنين وإذا هم كأنهم ليسوا منكم.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ وكأن هذه الآية نفسها توحي بأنه لا يصح على الإطلاق بالنسبة للمؤمنين أن يتولوهم في أيِّ مرحلة من المراحل، أي: حتى لو اتجهوا في صراع معهم صراع صراع، ثم في مرحلة مُعيَّنة وإذا بهم قد أصبح فيهم أشخاص يريدون أن يتولوهم لأيِّ اعتبارات تحت عنوان: ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أو نحوها، هذا يؤدي إلى ماذا؟ إلى فضح وإلى خسارة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ لأنك لست بحاجة إلى توليهم على طول المرحلة نهائياً.

هل أنت خائف منهم؟ الله يُقدِّم الموضوع في آيات كثيرة بأنهم ليسوا ممن يجب أن تخاف منهم، هم مضروبون، هم ضعاف، هم أولياء الشيطان، هم محكوم عليهم بالخزي، بالذلة، بالمسكنة، بالعذاب في الدنيا والآخرة، فكيف تخاف منهم؟! كيف تخشى منهم؟! كيفما كانوا وفي أيِّ مرحلة من مراحل الصراع معهم، مهما كان.

هنا من البداية تحذير للمؤمنين أن يتخذوهم أولياء ويذكر بأن هناك ممن في قلوبهم مرض ودون أن يذكر رقماً محدداً ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾ قد يكونون عشرين فرداً وقد يكونون عشرين مليوناً، قد يكونون أفراداً وقد يكونون ملايين.

يأتي بعد أن قدَّم القضية على هذا النحو الفظيع بالنسبة لبني إسرائيل وأنهم أمة ليسوا بالشكل الذي تخاف منهم حتى تتراجع عن جهادهم، فيُعتبَر التراجع عن جهادهم عن الوقوف في وجههم بعد أن ظهر أنهم على هذا النحو معناه ماذا؟ أشبه شيء بارتداد تَقهقُر، تَقهقُر بشكل رهيب جداً، هذا يؤدي أيضاً: ليفهمْ هؤلاء الذين يسارعون فيهم – كما قال سابقاً – بأنهم سيندمون أن الله غني عنهم وأنهم سيندمون دائماً؛ لأن الله

سيأتي ببديل، ثم يأتي فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(المائدة:٥٤).

ماذا يعني النوعية الأولى؟ لا يحبهم ولا يحبونه، هنا بالنسبة للبديل عندما يسرد هذه الصفات، أي: المُستبدَل عنهم أو نقول المُستبدَل بهم - هي كلمة يحتاج الإنسان إلى أن يركّز ذهنه حول بدل - الطرف الآخر الذي قعد فاستبدل الله به غيره هو بالتأكيد صفاته مناقضة لصفات البديل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هذا وعد إلهي يؤكد الوعد السابق ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾(المائدة:٥٢) ﴿بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَومَةَ لآئِمٍ﴾(المائدة:٥٤).

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ ليكون في الأخير ممن يرتد عن دينه والمفروض أن يسارع ليكون ممن قال الله: ﴿فَسَوفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَومَةَ لآئِمٍ﴾(المائدة:٥٤) نسأل الله أن يجعلنا جميعاً منهم.

هذا من الخسارة الرهيبة للطرف الآخر: أن يكونوا فريقاً آراؤهم ورؤاهم التي تجعلهم يتقهقرون ويرتدون على أعقابهم فينقلبوا خاسرين. خسارة - فعلاً - ألاّ يكون الإنسان من هذه النوعية: نوعية من وعد الله بأنه سيأتي بهم ﴿فَسَوفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فمعنى هذا بأنه عندما ترى لبني إسرائيل حركة على هذا النحو، فإنه يجب أن تسارع إلى أن يجعلك الله من هذه النوعية التي وعد بأنه سيأتي بها، لا أن تسارع فيهم (﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ ويمكن، ويمكن، والأفضل لنا كذا، ولا...) لا؛ لأن هذه خسارة، والواجب هو أن تسارع إلى الله عسى أن يكتبك واحداً من هؤلاء الذين وعد بأنه سيأتي بهم.

ولئلا يُصاب الناس - مهما كانوا قليلاً، أو مهما كانوا يرون العدو كبيراً، ويرون التراجع كبيراً - لا يصابون بإحباط. عندما ترى العرب تقهقروا، ترى المسلمين تراجعوا، ترى قممهم تعلن تراجعهم، أليست القمم العربية والقمم الإسلامية كلها يبدو منها التقهقر والرجوع؟ ليس فيها منطق جهاد، ليس فيها منطق مواجهة في أيِّ ميدان من الميادين على الإطلاق، إذاً أليس هنا تحقق ارتداد بكل ما تعنيه الكلمة في هذا الإطار؟ تأتي إلى الشعوب نفسها وإذا الكثير ليسوا حول الموضوع نهائياً، وهم يرون أمريكا ويسمعون ما تريده أمريكا، وتكتب صحف، ويرون في التلفزيون والإذاعات، وكل شيء، ولا يبالي ولا يوجد لديه فكرة، والكثير لديه فكرة أنه ماذا؟ يترك ولا يتدخّل من أجل أن يَسلَم! ننزل لهم أوراقاً تعلن بأن الأمريكيين يتجهون لتغيير المناهج بما فيها القرآن الكريم، فلا يتحرك، أليس هذا من المتراجعين؟ يعني ماذا؟ وقت تحقيق الوعد الإلهي، أليس وقت تحقيقه؟ لأنه قال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوفَ﴾ بالفاء التي تعني التعقيب مباشرة بدون مهلة ﴿فَسَوفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(المائدة:٥٤) وإن كان المرتدون ملايين أو عشرات الملايين.

هذه الآية أيضاً تُعطي الناس منهجاً في كيف يجب أن يكون تثقيفهم لأنفسهم، وكيف يجب أن نوجه الآخرين، وكيف كان يجب أن توجِّه وسائل الإعلام لو كان لا يزال هناك توفيق، أنك تربِّي الناس، توجِّه الناس كيف يكونون محبين لله هذه واحدة؛ ليحبهم، أليست هذه قضية أساسية، ونقطة هامة جداً؟ لأنه هنا ذكر نوعية ينطلقون في مواجهة بني إسرائيل بديلاً عن أولئك المرتدين من داخل المسلمين، من منطلقات أساسية، لا تتأثر بالمصلحة على الإطلاق، لا تتأثر بالإغراءات، لا تتأثر بالتخويف، لا تتأثر بالدعايات، لا تتأثر باللوم، بل ينطلقون من منطلق حب لله، لا يبحث عن فتاوى (هل قد أصبح هذا يلزم أو ما يلزم؟) بل حباً لله، سواءً كان لازماً أو لا، المهم أنه شيء يُعتبَر عملاً صالحاً، ويحبه الله، ومن يحب الله فهو يسارع إلى العمل الصالح وإن لم يكن قد وجب، أما هذا فقد وجب - ربما - مئات المرات وليس أن تقول: هل قد وجب أو لم يجب؟

هذه النوعية الذين ينطلقون من منطلق حب لله لا يتأثر بمصالح أمريكية أو إسرائيلية أو كيفما كانت، في بلاده، عند بيته، له شخصياً لا يتأثر؛ لأن موقفه منهم موقف ثابت وليس موقفاً شخصياً، وسيعرف أن ما يقدِّمونه إنما هو خداع وتضليل؛ ليحبهم بدلاً من أن يحب الله، ولن يحبوه، أمَّا الله فإنك ستحبه، وهو يحب في المقدمة هو، أما بنو إسرائيل قدَّمهم بشكل آخر: ﴿هَأَنتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ﴾(آل عمران:١١٩).

إذاً فهذه نوعية راقية جداً، وأنها قضية منهجية فعلاً، كيف يمكن للناس أن يحبوا الله؟ بمعرفته وفق ما يُقدِّم القرآن وليس وفق ما تُقدِّم كتب (علم الكلام) على الإطلاق، هذه قضية، قد تكره الله فعلاً إذا اعتمدت على تلك الكتب؛ ولهذا يقولون: إن الكثير فيهم يكونون قساة قلوب، ويتأقلم كثير منهم مع أيِّ سلطة تحكم، وينتظرون

للهبات منها والجوائز والعطايا! هذه قضية أساسية؛ ولهذا نقول من البداية: إن هذا القرآن يدل على أنه من عند الله يشهد هو، في هذا العصر أليس الأمريكيون يحاولون أن يُقدِّموا خدمات، ويحاولون مثلاً أن يضللوا بأنهم يريدون مصلحة الناس من أجل أن يحبهم الناس، ومن أجل أن يقبلوا احتلالهم، ونهب ثرواتهم؟ أليست هذه قضية معروفة؟ اعتمادهم على تقديم خدمات هي مزيفة في الواقع.

إذاً الإنسان الذي ينطلق من منطلقات شخصية: عداوة شخصية، أو حتى وطنية، أو قومية، ليس مضموناً أن يَثبُت في مواجهة مصالحهم، ووجدنا في هذه المرحلة من كانوا يتشدقون بالقومية أليسوا هم من أصبح الكثير منهم قد سقطوا في أحضان أمريكا؟ فعلاً، عندما تأتي إغراءات كثيرة، لأنه ماذا؟ قد تكون دول عندها إغراءات كثيرة لكن المؤمن هنا سيعرف بأنها قيمة الله، وقيمة نفسه، وقيمة دينه، وقيمة الجنة، أليس هو سيعرف هذا؟ ليس مستعداً على الإطلاق مهما قدَّموا من إغراءات.

الحب لله يشكل ضمانة ضرورية، أي: كأنه يكشف بأنه فعلاً في مرحلة كهذه يحتاج الناس في مواجهة بني إسرائيل إلى أن يكونوا محبين لله، وإلاّ فقد يستفتي، قال لك: (ما يلزم) تقول: نريد كذا، قال: (اترك الأمريكي يُقدِّم لنا مصلحة) وقعد، ألم يقعد؟ بقي ماذا؟ لا يتحرك إلاّ من ينطلق من الحب لله؛ لأنه ليس وراء (يلزم أو ما يلزم، أو هذا قد وجب يا سيدي فلان أو ما وجب؟) وليس وراء: (إنهم يريدون أن يُقدِّموا لنا مصلحة) بل أصبحوا إلى درجة أن يقول آخرون لنا، الذين يأكلون مصالحنا، الذين هم من داخل بلادنا، يقول: (من أجل مصلحة) والمصلحة ستأتي له هو، أي: قد صارت المسألة إلى أن يُباع الدِّين، ويباع الوطن من أجل مصلحة آخرين! أمَّا هذا فهو يُعتبَر من أسوأ الأشياء، أليس من أسوأ الأشياء؟ تُعتبَر خسارة كبيرة جداً أن تبيع دينك بمصلحة شخصية لك مهما كانت، أمَّا أن تبيع دينك ووطنك من أجل مصلحة آخرين فستكون أشقى الأشقياء.

أيضاً هؤلاء الأعداء - فيما يتعلق بأنواع الصراع - يركّزون على أشياء كثيرة يحركونها، تلويم عن طريق مثلاً تثقيف، عن طريق دعاية، عن طريق ترغيب، وعن طريق ترهيب، حتى ينطلق اللوم ضد من يتحركون من كل جهة، من يلومك باعتبار أن عملك مخالف للمصلحة الوطنية، يضر بالمصلحة الوطنية، ومن يلومك باعتبار عملك يقضي على المذهب، ومن يلومك باعتبار أن عملك لا يجوز في المسجد، ومن يلومك باعتبار أنه خائف عليك، ومن يلومك باعتبار أن عملك يسد عليه مصلحة وقد أصبح مُجهزاً لنفسه ليبيع في الأخير نفسه وهو يَعتبِر عملك يحول دون أن يُباع بثمن جيِّد، ومَن، ومَن، كم!

إذاً معناه لا بُد من أمة، من أناس لا يخافون لومة لائم، سواءً عالِماً، أو زعيماً، أو مسؤولاً، أو أباً أو أماً، أو كيفما كان، إذا كان وعيه إيمانه لم يرتقِ إلى هذه الدرجة فقد يأتي لوم وطأطأ رأسه وربض، يصطرع، يدخل في قائمة المرتدين. هنا لا يوجد مجال على الإطلاق في مرحلة كهذه، وبمنطق هذه الآيات لن تكون إلاّ واحداً مِن: إمَّا مرتدين، أو ممن يأتي الله بهم. إذاً عندما لا تكون ممن يأتي الله بهم فأين موقعك؟ معناه موقع الساكتين، موقع القاعدين، أو ربما موقع المعارضين؛ لأنه ذكر عن البديل: ﴿يُجَاهِدُونَ﴾ الذين يجاهدون يعتبرون ماذا؟ لأن هذا هو قطب الآية هنا ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ قابَل ما يساوي الارتداد بكلمة ماذا؟ ﴿يُجَاهِدُونَ﴾، كلمة ﴿يَرْتَدَّ﴾ ليس معناها ارتداد كُفْر، كلمة (ارتداد) كلمة (كُفْر) هي أشياء واسعة، ليس معنى ارتداد هنا (كُفْر) وقد يصلون بالناس فعلاً إلى درجة الكفر، قد يجعلون الناس يكفرون بالدِّين نهائياً ناهيك عن الكفر بأنواعه الكثيرة، كم قد أوقعوا إلى الآن!

إذاً فكلمة ﴿يَرْتَدَّ﴾ معناه أن تراجعهم في الواقع عن جهاد هؤلاء يُعتبَر ارتداداً؛ ولهذا ذكر البديل بعبارة ماذا؟ ﴿يُجَاهِدُونَ﴾ لو لم يكن المعنى هكذا لَمَا قابَل ﴿يَرْتَدَّ﴾ بكلمة ﴿يُجَاهِدُونَ﴾؟ سيقول: يُسلِمون - مثلاً - أو يؤمنون لو أن المسألة معناها هناك ارتداد، أي: الخروج عن الملة، وقد يحصل خروج عن الملة، آيات أخرى تتناوله.

إذاً فأن يكون الإنسان على هذا النحو، وأن يكون توجيه الناس على هذا النحو (حب لله) هذه واحدة من القضايا الأساسية بأنه لا يؤثر فيه لوم لائم؛ لأن ذلك الذي قد يفتيك بأنه (ما قد وجب) أنت تعرف بأن هذا عمل يحبه الله (عساه لا يجب) هل ستتراجع؟ شخص هناك يريد أن يُقدِّم لك مصلحة، أنت تحب الله فلا يمكن أن تؤْثر على الله أيَّ مصلحة، أحد أقاربك مهما كان عزيزاً عليك، أنت تحب الله أكثر من نفسك ناهيك عن أن تحبه أكثر من أحد آخر. أليست هذه قضية هامة؟ تجد أيضاً في نفس أن يكون الله يحب الإنسان استعرِض القرآن في موضوع الرحمة تجد أنه أرحم بالإنسان من أيِّ قريب تطيعه؛ لأنك تحبه؛ ولأنه يحبك فتعدل عمَّا يجب أن تكون عليه، تجاهد في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم، قضية الحب لله واحدة من الضمانات، الحب لله تأتي عن طريق المعرفة القرآنية الواسعة.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(المائدة:٥٤) متواضعين بالنسبة للمؤمنين، وأقوياء بالنسبة للكافرين، من يرتدون هم يكونون بالعكس: أعزة على المؤمنين، أذلة على الكافرين، حقيقة، أمام المؤمن يبادر إليه يكمم فمه حتى لا يقول: (الله أكبر) وبقوة وصرامة! أليست هذه واحدة؟ وأمام الكافر يقول له: هذا عمل إرهابي في بلادك، وهو يعرف أنه كاذب فيقول: نعم، يطأطئ رأسه ويقول: (نعم عمل إرهابي)! لم يعد يدفع عن بلاده تهمة فضلاً عن أن يدفع عن بلاده حرباً، لم يعد يدفع تُهمة هي أساس في الاعتداء على بلاده، أليست هذه قمة الخضوع: الذلة للكافرين، وعزة على مؤمنين؟ مؤمنين يعرف بأنهم من الناحية السياسية لا يؤثرون عليه على الإطلاق، بل لو سلك طريقتهم لنجي هو، أيُّ سلطة حاكمة لو تسلك هذه الطريقة لكانت ناجية، لكن من يضمن أنه لا يزال هناك توفيق أن يهتدوا بهدى الله ويسيروا على كتابه؟ ووجدنا آخرين، ألم نجد آخرين كانوا يتنمرون على من يسمونهم بـ(الشباب)[1] يتنمرون عليهم، وشدة عليهم، وفتاوى، وارتداد، وأشياء من هذه، وإذا بهم في وقت بروز الكافرين يُصدِر بعضهم بياناً للمرشدين بألاّ تسبُّوا أحداً وإن كان كافراً! أليس هذا أمام الكافرين (ولا كلمة)؟ وهو من كان يكفِّر، بعضهم، أو يحكم بارتداد علماء؛ لأنهم ماذا؟ لأنهم مؤيدون لمؤيِّد لـ(الشباب) شدة بشكل رهيب، وإذا بها تتلاشى بطريقة غريبة أمام الأمريكيين؛ لأنه قد أصبح يرى أن هذا الموضوع ربما قد يصل إلى عنده.

أي: أن هذه القضية معناها: أن الله لا يحدد فئة مُعيَّنة، يحتاج الإنسان إلى أن ينتبه لنفسه هو كائناً من كان؛ لأن القضية إمَّا أن تكون ممن يأتي الله بهم، أو أن تكون ممن يرتد، ومن يرتد سيظهر منه مواقف المرتدين بما فيها الذلة أمام الكافرين، هذه واحدة، أو تكون هذه الفئة التي وعد الله بها، فيظهر بأنك لا تؤثر أيَّ طرف مهما كان ومهما كان لومه، ولو أصدر بياناً يوقع عليه مائة عالِم، فلن تتأثر به نهائياً؛ لأنك واعٍ وفاهم.

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ إذاً فأين الأفضل لك أن تُحب مَن قال عنهم: ﴿هَأَنتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ﴾؟ أليست هذه خسارة أول شيء؟ أمَّا هنا فيقول: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ في المقدمة.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ لماذا لم يقل: يُقاتلون هنا؟ نقول فعلاً: إن الآية تتحدث عن هذا الزمن؛ لأن القرآن هو للناس وللحياة كلها، الجهاد يُعبِّر عن حالة الصراع وسعة الصراع وميدانه، أوسع من كلمة (يُقاتلون) أي: سيتحرك في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، ويقتضي العمل بإيجابية أن يكون مؤثراً على العدو فيتحرك فيه، بذْل الجهد: سواءً في موضوع ثقافي، اقتصادي، عسكري، سياسي، إعلامي، في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، حرب نفسية، والحرب النفسية من أبرز مظاهر الصراع في هذا الزمن، الحرب النفسية؛ ولهذا يقول: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ أي: يبذلون جهداً في كل المجالات، وفعلاً ترى بأن الفئة السابقة: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ في خسارتهم تبرز أشياء هي سهلة جداً وهي جهاد فلا يتوفق أن يصل إليها: شعار يرفعه، أو بضاعة أمريكية وإسرائيلية يقاطعها، فلا يعملها، يشتري قمحاً أمريكياً وهناك قمح آخر أمامه! أليست هذه خسارة؟ يتوقف أن يرفع شعاراً في مسجده، دون أن يخسر من أجله ولا ريالاً واحداً، أليست هذه تُعتبَر خسارة؟ مُنتظِر أن معنى يجاهدون: يُقاتلون (متى ما قاتلوا)!

هذه من الأشياء الغريبة التي نقول هي أشياء فعلاً مؤسفة بالنسبة للعرب أننا لم نفهم أنواع الصراع من داخل القرآن، والقرآن أعطى فعلاً، نحن قرأنا في قصة معركة (أحُد) كيف التركيز على الجانب النفسي والمعنوي، بمعنى أن الصراع لا يكون أمامك فقط مجرد سيف، هذه واحدة من وسائل الصراع التي يجب أن تكون نصب عينيك، لكن تعرف أن الصراع يتناول مختلف الأشياء النفسية والمعنوية، فالقرآن علَّمنا من قبل، لكن لا بُد من القرآن حتى نعرف كيف الجهاد، ونعرف كيف يحصل الصراع بين البشر عادةً، يقول لك: مُنتظِر حتى يأتي قتال!

نقول: إن هؤلاء الأعداء هم يركّزون على قضايا نستطيع أن نواجهها إذا نجحت فسيُقاتلون وسيضرِبون، وإذا لم تنجح لهم فلن يضرِبوا ولن يصلوا إلى الناس، كيف تقول: إنك مُنتظِر، مُنتظِر، ومتى ما حصل ستقول: أنا لا أملك إلاّ بندقية ماذا ستعمل هذه البندقية؟! الشيء المحتمل أن هذا النوع لن يتوفق، أن الكثير قد لا يتوفقون فعلاً، الإنسان الذي يُعتبَر مجاهداً يبذل جهده في سبيل الله، ويعرف ماذا ينبغي أن يعمل، يعرف ماذا ينبغي أن يعمل فعلاً.

وأعتقد - فعلاً - أن رفع الشعار والمقاطعة الاقتصادية تُعتبَر من الجهاد في سبيل الله، ولها أثرها المهم فعلاً، أثر هذا الجهاد أشد على الأمريكيين مما لو كنا عصابات نَكْمُن لهم ونقتلهم فعلاً، أنا أعتقد هذا: أن أثره

(١) الشباب المقصود بهم في هذا السياق: (الشباب المؤمن) وهي حركة فكرية انطلقت بعد تحقيق الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م.

عليهم أشد من هذا، يؤثر عليهم بشكل كبير من الناحية المعنوية والنفسية بالشكل الذي لا يستطيعون أن يواجهوه بأيِّ مقولة من مقولاتهم، على مدى سنتين لم يستطيعوا أن يقولوا: إرهابيين نهائياً، لم يستطيعوا أن يوقفوه نهائياً بأيِّ طريقة، ولا استطاعوا أن يُلصِقوا به شيئاً يُعتبَر ذريعة، وفي نفس الوقت يعرفون أنه يضربهم ضربات نفسية ومعنوية رهيبة.

هذا هو الجهاد، والإنسان المسلم المؤمن يكون أمام عينه ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ﴾(الأنفال:٦٠) قد تكون قوة معنوية هي بيدك تؤثر جداً على العدو يجب أن تستخدمها، حرب نفسية، هو يستخدم حرباً نفسية هو، العدو الذي يمتلك أفتك الأسلحة يرى بأنه ليس مستغنياً بل مضطراً إلى أن يسلك الوسائل الأخرى في الحرب: الحرب الثقافية، الإعلامية، الحرب النفسية، أليس هذا شيئاً واضحاً؟ فكيف أصبحنا لم نعد نفهم حتى ما هو الصراع، أصبحنا لم نعد نفهم ما هو الجهاد؟! بالطبع المجاهدون ليس لديهم فكرة - لأن البعض يحاول أن يُقدِّم تفسيراً لمعنى الجهاد أن الجهاد بالكلمة هو الجهاد فقط أو آخر يقول: الجهاد بالسيف هو الجهاد فقط! - لا، الجهاد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ هنا قدَّم كل القوى بما فيها القوة المعنوية ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(الأنفال:٦٠).

الجهاد معناه: بذل الجهد في كل المجالات لإقامة دين الله، لم يعد يُعتبَر الموقف من العدو نفسه إلاّ موضوعاً من مواضيع إقامة دين الله الذي يبدأ من داخل الناس أنفسهم هم، استقامتهم فيما بينهم، ألم نتحدث عن هذا سابقاً؟ القضايا الأساسية لأمة تتحرك لأن تجاهد أن تُقدِّم نفسها نموذجاً فعلاً في التعامل فيما بينهم، في صدقهم مع بعضهم بعض، في إخائهم، في تآلفهم، في قوتهم، في منطقهم، في حكمتهم. بمعنى: العمل لإقامة دين الله، هذا هو الجهاد في سبيله، يشمل الكلمة، ويشمل القلم، ويشمل أشياء كثيرة جداً، ويشمل السلاح بمختلف أنواعه، فالجهاد هو هذه القائمة الواسعة، تتحرك فيها لا تنظر إلى مجال دون مجال، لا تنظر إلى مجال الكلمة وتنسى موضوع إعداد القوة (قوة السلاح) هنا ستخسر، كلمتك تتبخر في الأخير، لا تركز فقط على موضوع إعداد السلاح دون أن تعرف القضايا الأخرى التي يجب أن تعدها: القضايا المعنوية، والنفسية، والتربوية، والثقافية...إلخ، هذا هو الجهاد في سبيل الله، لا أن تقول الجهاد كذا، أو الجهاد كذا، أخذ ورد في الموضوع.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ أليس هنا ألغى موضوع: وطنية، قومية، تربة وطن، حجار وطن، وأشياء من هذه؟ لن يكون لها فاعلية على الإطلاق، هم ينطلقون يجاهدون في سبيل الله من أجل الله، وفي الطريق التي رسمها للمجاهدين، توجَد سُبل كثيرة تحمل عنوان (جهاد) وهي سُبل عوجاء، أمَّا كلمة (جهاد في سبيل الله) - ويمكن لأيِّ أحد أن يدَّعيها - فهنا يُبيِّن لك سبيله (طريقه) هي طريق هو رسمها هو للمجاهدين من أجله ليسيروا عليها في جهادهم.

مثلما قلنا سابقاً: إنه تجلى من خلال قصة طالوت وجنوده، تلك النوعية التي انطلقت في سبيل الله، هي فعلاً التي تحمي الأوطان والأعراض، أليست هي التي ستحمي الأوطان والأعراض؟ أمَّا من يرفعون عبارات: وطنية وقومية فهم أحياناً من يبيعون الأوطان والأعراض هم، أو حتى لو كان مخلصاً ستكون القضية قابلة للثغرات، يأتي العدو يدعم جهة مُعيَّنة وترفع شعارات قومية متفوقة على شعاراتك، وترى وكأنها تضرب العدو ضربات رهيبة، مثلما عملوا لاحتواء الثورات في القرن الماضي، آخر مثال لها (إرتيريا) تحرَّك المجاهدون المسلمون مساكين مقاتلين خلال فترة طويلة، رآهم الصهاينة وإذا هم ربما سينجحون، وربما تقوم دولة مسلمة، وعناوين - هم ليسوا فاهمين هذه: أهمية الارتباط بسبيل الله - من أجل الوطن، تحرير الوطن، إخراج العدو المحتل، وأشياء من هذه، جاء (أفورقي)[1] هو ومنظمته، وإذا هم وطنيون أكثر منهم، وإذا هم ما زال لديهم إمكانيات يستطيعون أن يَضرِبوا، ففرحوا بهم، فرحوا (نعمة أنه قد صار معنا أناس) وإذا بهم في الأخير ماذا؟ نوعية أخرى، وإذا المجاهدون المساكين الذين قُتِل كثير منهم، ودمرت بيوتهم وأموالهم، وإذا بهم قد صاروا معارضة هناك، وإذا بـ(إرتيريا) قد صارت بلداً مرتبطاً بإسرائيل!

لكن (في سبيل الله) لا يمكن على الإطلاق أن تُزيَّف المسيرة، لا يمكن لأحد أن يُزيِّفها إلاّ إذا فهمنا أن سبيل الله مجرد عنوان، سبيل الله، أي: من أجله، لا ترفع شعاراً آخر على الإطلاق، سبيل الله، مجاهدون في سبيل الله، وتفهم سبيله وفق الطريقة التي رسمها هو، أين رسمها؟ في القرآن، أليست في القرآن مرسومة؟ هذه

(١) أسياس أفورقي: مسيحي وهو الرئيس الأول لإرتيريا منذ الانفصال عن إثيوبيا يوم ٢٤ مايو ١٩٩٣م.

هي الطريقة التي لا يمكن أن تُخترَق ويخترقها مزيفون، ولو رفعوا عناوين: جهاد في سبيل الله، لا يمكن على الإطلاق، وإلاّ فالمرحلة خطيرة جداً، مرحلة قد يُزيِّف لك الأمريكيون حركة مُعيَّنة ويقولون: في سبيل الله، وجهاد في سبيل الله، وقد عملوا هذه في الماضي، ألم يعملوها؟

معنى هذا: يجب أن يكون هناك وعي تام، وإلاّ فقد تتحرك وأنت لا تدري، وباسم في سبيل الله عندما ترى منظمة أخرى تبدو أكثر فاعلية، وتحمل جهاداً في سبيل الله (عنواناً) ثم تبدو في الأخير وإذا هي وهمية تتحرك متى ما أرادت أمريكا، وتقعد متى ما أرادت، في الأخير تراها إنما كانت (فخ) من أجل ماذا؟ من أجل أن تذوب كل الانفعالات ضد أمريكا في ماذا؟ في بؤرة لا تشكّل خطورة عليها نهائياً، ثم في الأخير يظهر وإذا أولئك المجاهدون يتبخرون لا يوجد هناك شيء، ولا ترى بعد إلاّ أمريكا أو إسرائيل في وطنك.

هذه قضية هامة، الآية تعطينا منهجاً متكاملاً في كيف نكون نحن، وكيف نعمل بعون الله وتوفيقه، يحاول الإنسان أن يتعامل مع الله (يَدعُوه) وفي نفس الوقت كيف يكون توجيهنا للناس؟ لا تستخدم عبارات (وطن، و...) على الإطلاق، ونحن قلنا هذا سابقاً – عند آية طالوت وجنوده – قلنا: إن الله ضرب لنا مثلاً من داخل بني إسرائيل، عندما يقولون الآن: لا نريد عداءً دينياً، نقول: أنتم وجدناكم – في مرحلة كنتم مستضعفين وقد أخرِجتم من دياركم وأبنائكم – اتجهتم إلى نبي من أنبيائكم تقولون: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٤٦) أليس كذلك؟ فنحن نعمل مثلكم فقط، نرفع نفس الشعار الذي رفعتموه، وقامت بعده أعظم دولة لبني إسرائيل في تاريخهم إلى الآن.

كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى درجة ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَومَةَ لآئِمٍ﴾؟ إذا كان مستبصراً بالقرآن، مستنيراً بنور القرآن، مستبصراً ببصائر القرآن، مهتدياً بهديه، وإلاّ فسيُقعِده اللوم في أيِّ مرحلة من المراحل، لوم عالِم، أو لوم قريب، أو لوم بعيد، أو لوم سلطة، أو لوم من أيِّ جهة كان. عندما تنظر إلى هذه المرحلة تجد – فعلاً – هذه النوعية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه بني إسرائيل بفاعلية، ويمكن فعلاً أن تَهزِم هذه الفئةُ بني إسرائيل؛ لأنه قدَّم نوعية هي التي يجب أن تتوفر فيها الصفات الضرورية، والتي تجعل كل مؤامراتهم، وشعاراتهم، وعناوينهم، وخداعهم تتبخر عندما تصطدم بهذه النوعية، غيرها سيتبخرون هم أمام بني إسرائيل فعلاً.

هنا يُبيِّن بأن هذه القضية بالشكل الذي يجعل الآخرين يُحسون بأنهم في خسارة، المرتدين عن الجهاد، عندما يأتي بعد فيقول: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾(المائدة:٥٤) هذا فضل من الله الذي تتهرب منه، وتحاول أنت أن تعمل لك أشياء، وتلفق أشياء حتى لا يلزم، أو تتمسك بأشياء مُعيَّنة، أو تخاف. أنت تبعد نفسك عن الفضل، تبعد نفسك عن فضل عظيم، وفعلاً تثبت بأنك غير جدير بذلك الفضل، لأن الله قال: ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾.

تلاحِظ هنا أن الآية توحي فعلاً بأن الأمة قد تصل إلى حالة لم يعد يبقى لديها مقوِّمات بناء نوعية كهذه، إنما من جهة الله هو فعلاً، لا في تراثها، ولا في منطقها، ولا... وفعلاً هل هذا موجود؟ لو تعود إلى تراثنا نحن الفئة أهل الحق التي نقول دائماً: هم أهل الحق، فسيكون هذا التراث بالشكل الذي يقعدك؛ لأنه: ما الذي لديك عندما تقرأ؟ لديك (أصول فقه)، (علم كلام) كتب (ترغيب وترهيب)، (تفسير آخرين) أشياء من هذه تقعدك، ورأيناها أقعدت مَن؟ أقعدت من حملوها، وأقعدت من اتبعوها، أليست هذه القضية واضحة؟ ناهيك عمَّا لدى الآخرين فعلاً.

إن هذه نوعية لا تُبنَى إلاّ من جهة الله ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(المائدة:٥٤).

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ